نورة بنت عبد الله الهزاني

المـرأة العربية

بين الماضي والحاضر



المرأة العربية

بين

الماضي والحاضر

تأليف

نورة بنت عبد الله الهزاني

نبلاء ناشرون وموزعون
الأردن - عمان

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

الناشر

دار أسامة للنشر و التوزيع

الأردن - عمان

- هاتف: 5658252 – 5658253
- فاكس: 5658254
- العنوان: العبدلي- مقابل البنك العربي

ص. ب: 141781

Email: darosama@orange.jo

www.darosama.net

نبلاء ناشرون وموزعون

الأردن - عمان- العبدلي

الطبعة الأولى

2014م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2013 /8/ 2792)

218.5

الهزاني، نورة عبد الله

المرأة العربية بين الماضي والحاضر/ نورة عبد الله الهزاني.- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2013.

( ) ص .

ر.أ : (2013 /8/2792)

الواصفات: /المرأة المسلمة// المرأة//حقوق المرأة/

ISPN: 978-9957-22-575-9

الفهرس

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

المقدمة

لا شك أن موضوع المرأة قد حظي بكثير من الأبحاث على جميع المستويات العربية والعالمية، وقد دار بين الباحثين الكثير من المعارك حول مسائل كثيرة تخص المرأة قديماً وحديثاً، حتى أن المرأة عربية وغير عربية شاركت في هذا الموضوع وأدلت بدلوها، وكان لها موقفاً معيناً في قضايا مختلفة ونحن اليوم كباحثات نشارك كما شارك غيرنا في خوض تجربة الحديث عن المرأة، علماً بأنه صدر عنا كتاب قبل عام، وقد وسم بـ"الطلاق" حيث ناقش الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى هذه الظاهرة.

ولهذا جاء هذا الكتاب ليناقش قضية أعم وأشمل وهي قضية المرأة، حيث سلطنا الضوء على عدد من المسائل والتي جاءت بين حقبتين من التاريخ وأطلقنا عليهما الماضي والحاضر، رغبة منا في نسج كامل الخيوط حول المرأة مالها وما عليها.

وقد جاء هذا الكتاب في فصول ثمانية.

تناول **الفصل الأول** منه موضوع المرأة في العصر الجاهلي حيث كان هناك اختلاف بيّن بين الكتّاب حول هذا الدور الذي حظيت به المرأة جاهلياً.

أما الفصل الثاني: فقد تتبعنا فيه التطورات التي حدثت على صعيد حياة المرأة بعد ظهور الإسلام، وكيف أن الإسلام قد منح للمرأة الكثير من الحقوق والتي كانت من قبل لا تتمتع بها أو تحظى بها.

وفي الفصل الثالث: تحدثنا عن الشبهات التي كانت تدور حول المرأة العربية وخاصة الإسلامية منها، وحاولنا الرد على هذه الشبهات والتي كانت كلها اتهامات مغرضة لا علمية ولا عقلانية فيها.

أما الفصل الرابع: فقد وقفنا فيه عند ظاهرة الطلاق، تلك الظاهرة التي كانت ومازالت مثار اهتمام الباحثين والدارسين قدامى ومحدثين لما لهذه الظاهرة من آثار سلبية على المجتمع.

وفي الفصل الخامس: وقفنا عند مسألة الحجاب، تلك المسألة التي ظلت تحاصر المرأة في الإعلام وغيره، وقد أفردنا لها مساحة متميزة في هذا الكتاب.

أما الفصل السادس: فتحدثنا فيه عن دور الأم في تربية الأبناء، على اعتبار أن الأم هي الأساس في الأسرة.

والفصل السابع: كان عن موضوع المرأة امام تحديثات العولمة، حيث شرحنا دور العولمة والآثار التي تركها على المرأة وفي حياتها.

أما الفصل الثامن والأخير، فقد أشرنا فيه إلى وسائل الإعلام، وهل هذه الوسائل كان للمرأة وقضاياها دور فيها أم لا.

والله الموفق،،،

المؤلفة



الفصل الأول

المرأة في الجاهلية

اختلف الباحثون والمؤرخون في مكانة المرأة التي كانت تتبوأها في العصر الجاهلي، ففريق منهم قال بأن المرأة في الفترة الجاهلية التي سبقت الإسلام كانت كالرقيق تباع وتشترى، وكأنها قطعة من الثياب أو من مستلزمات البيت، وأعتقد أن في هذا القول تعسف وشطط، صحيح أنها لم تعط كامل حقوقها كما منحها إياها الإسلام وصحيح أنها كانت في مرتبة أقل من مرتبة الذكر، لكن ذلك كما يقول أحد الباحثين أن في ذلك تحيز وإفراط في النقل، والصحيح هو أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يعدون المرأة إنساناً كاملاً كالرجل ويقدرونها ويعلّون منزلتها ويعطونها ما تستحقه من الوظائف الطبيعية والرتب الاجتماعية، وليس الذين كانوا يقتلون البنات من العرب إلا شرذمة قليلة لأسباب عرقية ونزعات بربرية ناتجة عن الحماقة والجهل والغباوة والسخافة، والعرب لا تؤيدهم في ذلك ولا تجيز لهم ما يصنعون فهم يفتدون من أريد قتلها ويتداركون سلامة البنات قبل اغتيالها لاعتقادهم أن ذلك ظلم لها وجهل لحقها واعتداء على الأجيال القادمة والنسل البشري[1].

ويمكن القول بأن مقامات العرب الاجتماعية كانت تختلف باختلاف الاصقاع والقبائل والسلطات والعادات والأخلاق التي تعاقبت على المرأة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية، مما جعل المرأة في تلك العصور، تختلف باختلاف هذه العوامل وتتأثر بعوامل مختلفة الأنواع والأشكال.

فنحن لو قرأنا في القرآن الكريم، ونظرنا إلى ما جاء فيه عن المرأة الجاهلية، نجده ينهى أهل الجاهلية، ويبين لهم المقصود من الحيض بعد أن كانوا لا تساكنهم حائض في بيت، ولا تؤاكلهم إناء يأكلون منه.

وللننظر إلى قصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان بتدبير وإمعان، نجدها خير قصة، قصة قصها علينا القرآن الكريم، حيث تجلس بلقيس بمنتهى ما تبلغه النساء من حكمة ورجاحة عقل وعزم ومضاء وسناء منزلة، حتى بلغت من جلال الصولة

1 - المرأة في الإسلام، محمد صالح، ص65.

وكمال القوة، أنها حتى حين ركبت باتجاه سليمان سار في ركبها عدد كبير من رجال الدين وأهلها.

وللحقيقة نقول: إن القرآن الكريم أورد في آياته البينات، الكثير مما يؤكد حق المرأة التشريعي والاجتماعي في العصر الجاهلي بياناً لا يحوي من الغلو شيئاً، خلافاً كثير من الروايات التي رواها الرواة، والأخبار التي دونها الكتاب، والأخبار التي كانت تتأثر في كثير من الأحيان بالوجهتين العصبية الجنسية والمذهبية، وعلى العكس من ذلك فإن القرآن كان تارة ينعى على المرأة الجاهلية أعمالها التي كانت تمارسها وهي في مكان سحيق من الوحشية وفي بعض الأحيان يورد قصة مخالفة مثل قصة بلقيس.

وإلا بماذا تفسر أن الكثير من العرب كانوا عندما تتزوج ابنتهم يقومون بوصاية من يتزوجون بابنتهم العديد من الوصايا، وهذا يؤكد على مدى حب العرب لبناتهم، والدليل على ذلك أن صعصعة بن معاوية لما تقدم إلى عامر بن الظرب يخطب إليه ابنته عميرة قال له:

"يا صعصعة إنك أتيتني تشتري مني كبدي وتستل روحي من جسدي وأحب ولدي عندي وأحظاهم لدي أدناهم صلة مني، فقد زوجتها لا أريد منك إلا ان تعرف قدرها وتكرم وفدها وترفع شأنها وتغفي عن مساويها وتشيد بمعاليها وتقبل منها اليسير عن الكثير وما يسهل عمله عما يصعب وتشكر لها ما أحسنت وتغفر لها ما أساءت وأنت موضع حسن ظني والقائم عليها بالإكرام عني والحسيب كفء الحسيب والزوج الصالح أب بعد أب واجعل صداقها إكرامك لها وشفقتك عليها ومنحك لها أن لا تبعدها عن أهلها ولا تقطع بهم وصلها واعتبر حملك لها لزيارتنا أكبر منة علينا وأعظم هدية تهديها لنا، ونحن لك من الشاكرين"[1].

نعم لقد كان العرب رواد غارات وطلاب ثارات وكانوا يعقبون الصفوف للقتال بنسائهم وذوات أرحامهم تثبيتا لأنفسهم وتشديداً لعزائمهم، ويكون هو

---

1 - المرأة في الشعر الجاهلي، ص28.



الظاهر من يتخذ نساء القصور سبايا يسوقهن إلى بيته، ويتحكم فيهن كما يتحكم في ماله.

ولا شك أن الكثير من سادات العرب وشيوخهم وزعمائهم قد انكشفت عنهم السبايا فلم يؤثر ذلك في منازلهم أو يستهجن من أحسابهم بالرغم من أن النساء يبذلن ما ملكن من جهود وحيلة في الخلاص من الأسر، ولو ذقن الموت أنفة واستحياء وإبقاء على ذكر آلهن وذويهن.

وكان الكثير يتزوج بسبية، وقد أقام بها أمداً طويلاً.

أما بالنسبة لقضية الوأد والتي قرأنا عنها الكثير وتحدث فيها عدد كبير من الباحثين الذين أشاروا إلى أن العرب كانوا يدفنون بناتهم أحياء خشية من العار والفقر.

ومعنى الوأد أن يقوم الرجل عمداً بوأد الفتاة المولودة، حيث يقوم بحفر حفرة في التراب، ثم يلقي بها في هذه الحفرة، ثم يهيل التراب عليها حتى تفقد الحياة وتموت.

والحقيقة أن الوأد لم يكن منتشراً بين العرب في الجاهلية بشكل عام بل شاركت فيه بعض القبائل العربية مثل قبيلة ربيعة وكندة وتميم ومن قام بذلك فهو إما رجل بلا عقل أو مال، فيخشى أن يؤثر الفقر عليه فيؤثر على أدب ابنته ويهتك سترها ويبذل من عرضها، أما الثاني فهو من سوأة القوم، الذي تذهب الغيرة بعقله، فيعتقد خوفاً من تبدل الأحداث فتصاب بالإهانة والذل.

وقد وقف كثير من العرب أمام هذه المسألة موقفاً مشهوداً فقد بذل بعضهم المال كيف يوقف وأد بعض البنات، فهذا صعصعة التميمي فقد كان يتلمس من مسَّها المخاض، فيغدو إليها ويستوهب الرجل حياة مولوده إن كان بنتاً، على أن يبذل في سبيل ذلك بعيراً أو ناقتين عشراوتين ومنهم على سبيل المثال عمرو بن نفيل القرشي، فكان يضرب بين مضارب القوم، فإذا شاهد رجلاً يهم بوأد ابنته، فيبادر بالقول له لا تؤدها، ولا تقتلها فإني ألفيك مؤونتها، فيأخذها ويلي أمرها حتى تشب عن الطوق، فيقول لأبيها، إن رغبت أعدتها لك، وإن شئت كفيتك مؤونتها.

وكان للفتاة في الجاهلية حق اختيار خطيبها إلا في بعض الحالات، وإذا ذكر عنه ما يهجنه أو وصف ما ينبو الطبع عنه، أو علمت من الأمر على ما يحول دون الزواج به أن ترد خطبته، وليس لأهلها على ما يبدو أن يستاقوها قسراً إليه، وفي سبيل ذلك أبت الخنساء بنت عمرو بن الشريد أن تساق إلى دريد بن الصمة، وكان سيد قومه وفارسهم وشاعرهم، لأن بينهما من تفاوت السن ما يرنق صفو العيش ويسيء طبع العشيرة.

ومن ذلك لما أقبل سهيل بن عمر وأبو سفيان بن حرب على عتبة بن ربيعة يخطبان إليه ابنته هند، عرض عليها أمر كل منهما، وأخبرها عن بينة أمره في نفسه وأسرته وعشيرته، فآثرت أبا سفيان فزوجت منه.

وكان من حق النساء أن يجلس إلى خطابهن من الرجال، ويجاذبنهم عقد الأمر وشجون الحديث.

وكان يخطب الرجل إلى غير عشيرته، وحجتهم في ذلك أن الغرائب من النساء أولد للنجباء من الأولاد، فأما بنات العم فلا يلدن إلا ضعاف الأجسام والأحلام.

وكان من مذاهب العرب في الجاهلية: أن المرأة منهم كان إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها، وحجلت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقول: يا نكاح أبغي النكاح قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب[1].

على أن من العرب من كان يؤثر بنات العم لأنهم أصبر على نبوة الخلق وريب الزمان، وكان بنو عبس يؤثرون، وقد سئلوا أي النساء وجدتم أصبر؟ فقالوا: بنات العم.

وكانت المرأة تطلق الرجل، كما كانت تختاره، فكن يحولن أبواب أخبيتهن وإن كانت إلى الشرق فإلى الغرب، أو كانت إلى الجنوب فإلى الشمال، وإذا لم يكن ذوات أخبية فلهن أساليب يدللن بها الرجل على الطلاق.

---

1 - موسوعة عالم المرأة، ص25.

وكانت عمرة بنت سعد ، ومارية بنت الجعيد العبرية وعاتكة بنت مرة السلمية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمرية ، والسؤاد العنزية ، وسلمى بنت عمرو بن زيد النجارية ، وهي أم عبد المطلب بن هاشم، إذا تزوجت الواحدة منهن رجلاً، وأصبحت عنده كان أمرها لها ، وتكون علامة ارتضائها من الزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح.

وكانت المرأة إذا توفى زوجها عنها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها السنة ، ثم تؤتي بداية حمار أو شاة أو طائر فتنفض به ثم تخرج فتعطي بعره فترمى، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره[1].

وكان نكاح الاستبضاع معمولاً به أحياناً عند العرب قبل الإسلام، فكان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أي حيضها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه أي اطلبي من الجماع لتعمل منه... ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل التي استبضعت منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد أي اكتساباً من ماء الفحلة، لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم في الشجاعة أو الكرم أو غير ذلك وكان السر في كون ذلك بعيد الطهر أن يسرع علوقها منه.

وكان نكاح المقت لغة البعض والكراهية واصطلاحاً أن يتزوج الولد امرأة أبيه، وكان من عادات العرب في الجاهلية إذا مات الرجل قام أكبر أولاده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة يزوجها بعض أخوته بمهر جديد، فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال، وإن شاؤوا زوجوها لمن أرادوا وأخذوا صداقها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها بل يحبسوها حتى تموت فيرثوها أو تفتدي نفسها.

ومن اللاتي تزوجن أبناء أزواجهن بعد وفاتهم في الجاهلية: يسرة ابنة مرّ أخت تميم بن مرّ وكانت تحت خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فخلف عليها ابنه كنانة بن خزيمة.

---

1 - المرجع السابق، ص28.

وناجية ابنة جرم بن ريان من قضاعة وكان تحت سامة بن لؤي، ثم هلك فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة.

وكان النكاح البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لي عن إمرأتك وأنزل لك عن إمرأتي وأزيدك.

وروى عن عائشة بنت أبي بكر الصديق الحديث الآتي: يجتمع الناس الكثيرون في الجاهلية فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كما ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت القافة، ألحقوا بالذي يردن فالتاط به ودعى ابنه لا يمتنع عن ذلك.

وكان بعض العرب يكرهون إماءهم على البغاء، فكان عبد الله بن أبي سلوك يكره جاريته على البغاء، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت له فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ الآية[1].

واشتهرت بعض القبائل في الجاهلية بممارسة الزنا فصالحهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلموا على أن يزنوا ولا يربوا وكانوا أهل زنا ورباً[2].

وقيل: إن امرأة كانت تؤجر نفسها، وكان لها بنات تخاف أن يأخذن أخذها، فكانت إذا غدت في شأنها تقول لهن: احفظن أنفسكم وإياكن أن يقربكن أحد، فقالت إحداهن تنهانا أمنا عن البغاء وتغدو فيه[3].

وكانت طلحة الهذيلية فاجرة في شبابها حتى عجزت، ثم قادت حتى أقعدت، وسئلت من أنكح الناس؟ قالت: الأعمى العفيف، فحدث عوانه بهذا الحديث، وكان مكفوفاً، فقال: قاتلها الله عالمة بأسباب الطروقة وكانت تقول إذا أنا من فأحرقوني بالنار، ثم أجمعوا رمادي في جرة واتربوا به كتب الأحباب،

---

1 - ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة.

2 - ياقوت الحموي: معجم البلدان.

3 - ابن الميداني: مجمع الأمدان 1/ 189.

فإنهم يجتمعون لا محالة، وأتوا به الفاتنين يذرون منه على أجراح الصبيان، فإنهن يلهجن بالحب ما عشن[1].

وكان الرجل إذا أراد سفراً يعتمد إلى رقم وهو نبات، فعقده، فإن رجع ورآه معقوداً اعتقد أن امرأته لم تخنه وإن رآه محلولاً اعتقد أنها خانته.

وأما المرأة العربية قبيل الإسلام كأم، فإن الطفل على أثر ولادته تبدأ تربيته بتسميته، وكانت تشرك زوجها في تسمية ابنها.

ثم يأتي دور الرضاع، وهناك تمهد طفلها لما هو أهل له من عظمة الحياة، فتردد له في إرضاعه ومداعبته، ألفاظ الشرف والسؤدد والمجد والكرم وللنساء في سبيل ذلك طائفة من الأناشيد القصار يغنين بها أولادهن ويرقصنهم بها.

أما البنات فهن لأمهاتهن لزاماً، ولا تزال الفتاة عاكفة على أدب أمها حتى تحمل إلى زوجها.

وكانت عمل المرأة على نوعين، فنوع شامل ينضوي تحته النساء جميعاً كغزل أصواف الغنم وأوبار الإبل، والضرب على المعازف من دفوف وطبول وصنوج ومزاهر ومزامير وطنابير وأشباهها، وبذلك كن يلهون في أفنيتهن أيام دراستهن ومجامعهن، وبذلك كن يخرجن متبرجات لملاقاة بطل مظفر، أو عند نبوغ شاعر مبين.

وكانت المرأة تقوم بأمر البيت، وما إليه من إعداد المطاعم ورعاية الخيل والإبل.

وأما أعمال الارتزاق، فكانت المرأة تعمل في بعض الصناعات المحلية كصنع رماح البحرين وقد اشتهرت بذلك ردينة، والتجارة كخديجة بنت خويلد فكانت ذات متاجر واسعة.

---

1 - الميداني: مجمع الأمدان 2/ 47.

وهناك أعمال يتناول ذوات الخصاصة من النساء دفاعاً للحاجة واستدفاعاً لذل الأودية وبيعها ودبغ وتنميق الحصير وانتجاع الأسواق وارتياد مختلف الأحياء لابتياغ التمر والعسل والسمن أو بيعها واستبدالها بأمثالها وغير ذلك.

ومن النساء من اتخذت النياحة على الموتى عملاً ومهنة، ومنهن من همهن تعرف الغيب وكشف حجب المستقبلن ولهن في ذلك وسائل.

ومنها الكهانة والعرافة، ومنهن من ينقش العقد، وتلك إحدى قواعد السحر.

وهناك المراضع، وكان النساء من البادية يأتين المدائن والقرى ملأ الأثداء ليرضعن ولدان الحضر ويتعهدن منابتهم بين ملاعب البدو ومضارب الخيام.

والطيب عندهن على صنفين: أعواد يتبخر بها، ودهن يدهن به، ومن الثاني العنبر والمسك والغالية وهي أزكى صنوف الطيب عندهن.

وأما بيت المرأة العربية فلم يكن بيتها على سواء في تكوينها ونظامها ومادتها فهي تختلف باختلاف مواطنها وأقدار ذويها فأهل البادية كانت بيوتهم خياماً تضرب ثم تطوى، وقل إن كانت من الحجر أو اللبن.

واما المدن فمستقر الدور والقصور، وهي لا تقل في شيء عما سواها في مختلف الأفطار والأمصار المجاورة لهم.

وأما أثاثها ومتاعها ففيها من الفرش الحصير ومنه المنمق المنقوش، والبساط هو كل شيء بسط ليجلس عليه وهو أنواع، الطنافس والوسائد وغير ذلك.

ولنساء العرب مظاهر من الوفاء، فإذا انتزع الموت منها أليفاً صميماً أو عزيزاً عظيماً فهي تسير في شعاب من الأحزان.

وإن نساء العرب في مواقف العرب الحزن طبقات بعضها فوق بعض فهنالك المتجملة بالصبر التي تشتفي بالبكاء وتكتفي بالرثاء، ثم تأتي بعد هذه الصانفة وهي التي ترفع صوتها وتدعو بدعوى الجاهلية كواولداه واكبداه، ثم الشاقة التي تتجي على حبيب جلبابها شقاً وتمزيقاً، والحالقة التي تحلق شعرها فلا تبقي على بقية منه.

حتى أن المرأة في الجاهلية منحت الكثير من الامتيازات التي يساويها بالرجال فمثلاً على سبيل المثال أنها كانت تجير من طلب إجارتها، كما أن الكثير منهم كان يعود إليها في بعض الأمور ويطلبون رأيها وكما ذكر الأستاذ محمد صالح نقداً عن كتاب المرأة في الشعر الجاهلي للحوفي أن العرب في الجاهلية يرجعون في كثير من الأحيان إلى آراء نسائهم في الأمور المهمة، حيث مثلاً كانوا لا يزوجون بناتهم حتى يأخذوا بآرائهم فيمن يتقدم لخطبتهم.

ومثال ذلك أن لقيطاً بن زرارة، وهو أحد عظماء العرب، كان لا يذهب إلى غزوة ويسعى في مهمة إلا ويأخذ في صحبته ابنته دختونس فلا يفعل شيئاً إلا بما تراه حسناً برأيها[1].

كما أن المرأة كانت في كثير من الأحيان تقوم بالصلح بين المتحاربين وإيقاف الحرب، فقد وقع ذات مرة نزاع وشجار بين قيس بن زهير العبسي وعمه الربيع بن زياد العبسي في درع فضفاضة كانت لقيس فاغتصبها منه عمه الربيع فقام يطالبه فيها ويقاوله في ردها دون جدوى فقالت جمانة لأبيها دعني أنا أناظر جدي فإن صلح الأمر بينكما وإلا كنت من وراء رأيك فأذن لها فأتت جدها الربيع فقالت: إذا كان قيس أبي فأنت جدي وما يجب من حق الأبوة علي إلا كالذي يجب عليك من حق البنوة لي والرأي الصحيح تبعثه العناية... ويتجلى عن محضه النصيحة فاعلم أنك قد ظلمت قيساً بأخذ درعه وأجد مكافأته إياك سوء عزمه والمعارض منتصر والبادي أظلم وليس قيس ممن يخوف بالوعيد ولا يردعه التهديد فلا تركن إلى منابذته فالحرم في موادعته والحرب متلفة والسلم أرخى للبال وأطيب للحال وأنس للقلوب وأبقى للمودة والصفاء ثم قالت:

أبي لا يرى أن يترك الدهر درعه	وجدي يرى أن يأخذ الدرع من أبي
فرأي أبي رأي البخيل بماله	وشيمة جدي شيمة الخائف الأبي

***

---

1 - المرأة في الإسلام، ج1، ص74- 75.

ومما تقدم يتبين لنا أن المرأة في العصر الجاهلي أي المرحلة التي قبل ظهور الإسلام تتمثل في حريتها كفرد غير محكوم بدولة، ولم تخضع لقانون يطبق عليها حتى المرحلة الإسلامية، وكانت سافرة الوجه، وليس سوى غطاء تقليدي للشعر.

وكانت المرأة في العموم محتشمة، بمعنى الالتزام بالعادات التي تعتز بالشرف والكرامة، وقد روى كتاب السيرة ومفسرو القرآن في تفسير الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾(سورة الممتحنة، الآية12) .

كيف أن هنداً بنت عتبة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم عندما أراد مبايعتها مع بقية النساء يطلب منهن البيعة على أن لا يزنين، فقالت له: وهل تزني الحرة، فرد عليها: لا تزني الحرة [1].

وكان للمرأة في العصر الجاهلي في بعض الأحيان أيضاً حق الطلاق من زوجها لأي سبب تراه مناسباً، بل ويمكنها رفض الاستمرار في زواجها إذا وجّهت إليها إهانة من زوجها كما فعلت هند بنت عتبة مع الفاكهة بن المغيرة عندما اتهمها في شرفها وبرّأها كاهن اليمامة[2].

وكان لها الحق في إقامة علاقة حب مع رجل تختاره وتخلو به في حدود المتاح، وما قصة خديجة بنت خويلد مع محمد إلا نموذج واضح لذلك، وفي استعراضنا لأنواع الزواج آنذاك سنجد الكثير من النماذج لمثل تلكم العلاقات، وعلى الرغم من وجود تعدد للزوجات غير خاضع للعدد، حيث كان العديد من رجالات العرب، خصوصاً الأثرياء منهم يتزوجون العديد من النساء في الوقت

1 - المرأة قبل الإسلام، مروان العلان.

2 - انظر قصتها في : اخبار النساء في كتاب الأغاني، ص384.

الواحـد، إلا أن تعـدداً لـلأزواج كـان معروفـاً، وإن كـان بأسمـاء مختلفـة، كـزواج الرهط واضماد، مع أن هـذا النـوع مـن الزيجـات كـان نـادراً، لـكنـه يشير إلى بقايا لموقـع المرأة آنـذاك، وسـنرى ان هـذا كـان يعـني في حـدّه الأدنـى مـساحة مـن الحـرية الجنسية لم تبق متاحة بعد قدوم الإسـلام[1].

1 - الميداني: مجمع الأمدان 2/ 47.



الفصل الثاني

المرأة بعد الإسلام

لقد أكرم الله بالإسلام القبائل العربية في الجزيرة العربية، كما أكرم الرجل والمرأة على حد سواء، حيث أعطى الكثير من الحقوق التي لم تمنح للمرأة في العصر الجاهلي، وأخذت المرأة في هذا العصر تشارك الرجل في كل ما يدور في حياته اليومية، لذلك فإن الإسلام قد غير مفاهيم بعض العرب كما ذكرنا في الفصل السابق من أن البنت حمل ثقيل وفادح، لاعتقادهم بأنها ستسبب لهم الذل والعار إذا وهبت نفسها أو سبيت من إحدى القبائل وما أكثر هذا السبي في تلك الفترة.

كما ذكرنا لقد تغيرت مفاهيم هؤلاء العرب بفضل الإسلام، فقد ورد أن عمرو بن العاص دخل على معاوية بن أبي سفيان، وعنده بنتٌ له يلاعبها، فقال له: أنبذْها عنك يا أمير المؤمنين، فوالله إنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويؤدين الضغائن، فقال معاوية: لا تقل، فما ندب الموتى، ولا تفقد المرضى، ولا أعان على الحزن مثلهن.

ولقد مُنِيَ بعضُ العرب في جاهليتهم باتقاد الغيرة حتى جاوزا بها طورها، حتى قادت فريقاً منهم إلى قذف زوجته في عرضها، فرفعوا خصومتهم، واحتكموا في أعراضهم إلى فريق الكهان والكواهن، فقطعها الإسلام إلاّ أن تكون على علم وبينة وجعل عقوبة قاذف المحصنات ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة أبداً.

ولذلك تحامى المسلمون مواطن الظن، ومداحض التهم، حتى عدُّوا الاعتساف في الغيرة سمةً من الحمق لا يستحق صاحِبُها أن يسوّد أو يُطاع، وذم كثير من المسلمين التورط في الغيرة وتوكيل الريب والظنون بالمرأة.

وإليك مثالاً من الاحتكام إلى الكهان في الجاهلية، كان الفاكهة بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند بنت عتبة، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن، فكان يوماً في ذلك البيت وهند معه، ثم خرج عنها وتركها نائمة، فجاء بعض من كان يغشى البيت، فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها، فاستقبله الفاكهة بن المغيرة، فدخل على هند وأنبها، وقال: من هذا الخارج من عندك؟

قالت: والله ما انتبهت حتى أنبهتني، وما رأيت أحداً قط.

قال: الحقي بأبيك، وخاض الناس في أمرها، فقال لها أبوها: يا بنية، العار وإن كان كذباً، ابنيني شأنك، فإن كان الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعض كُهان اليمن.

قالت: والله يا أبت إنه لكاذب.

فخرج عُتبة، فقال: إنك رميت ابنتي بشيء عظيم، فإما أن تبين ما قلت، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن.

قال: ذلك لك.

فخرج الفاكهة في جماعة من رجال قريش، ونسوة من بني مخزوم، وخرج عتبه في رجال ونسوة من بني عبد مناف.

فلما شارفوا بلاد الكاهن، تغير وجه هند، وكسف بالها، فقال لها أبوها: أي بنية، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا؟

قالت: يا أبت، والله ما ذلك لمكروه قبلي، ولكنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ولعلّه أن يتسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب.

فقال لها أبوها: صدقت، ولكني سأخبره لك، فصفر بفرسه، فلما أدلى عمد إلى حبة بر فأدخلها في احليله، ثم أوكى عليها وسار، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم.

فقال له عتبة: إنا أتينا في أمر، وقد خبأنا خبيئة فما هي؟

قال: برُة في كمرة.

قال: أريد أبين من هذا.

قال: حبة بُر في إحليل مُهر.

قال: صدقت، فنظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن، ويقول: قومي لشأنك حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال: قومي غير رفحاء ولا زانية وستلدين ملكاً يسمى معاوية.

فلما خرجت، أخذ الفاكهة بيدها، فنترت يدها من يده وقالت: إليك عني والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك، فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية.

فجاء الإسلام ومنع مثل ما كان عليه في الجاهلية وطالب بالبيّنة وعاقب القاذف كما سلف.

وحرص الإسلام على المسلم أن لا يسبي مسلمة، مهما عصفت بالقوم عواصف الفتن وفرقتهم شعب الأهواء، فأزال بذلك أشد مواطن الروع والفزع في حياة المرأة العربية، فأصبحت ناعمة في دارها، آمنة في تربها مبتهجة بين لدّتها وعشيرتها، بعد أن كان القاهر يستبيح حمى المقهور ويستاق نساؤه حواسر الرؤوس، بين الغربة وعار السبأ.

ومن حسنات الإسلام على المرأة المسلمة: فبعد أن كانت النساء لا يؤول لهن من ميراث الرجل شيء اختص النساء بنصيب مما ترك الرجل، فذلك قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في معاملة المرأة، فكان يقول: "خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي".

كما حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلب مرضاته واتباعها موافقته، كما أمر الرجل على أن يكون أتمّ ما يكون من الرحمة والرفق، وأن لا يشق عليهن ولا يكلفهن فوق ما تحتمل نفوسهن[1].

وأما المرأة المسلمة في الحياة العامة، فعلاوة على تدبير المنزل والشؤون الخاصة بها، فكانت تسير مع الرجل جنباً لجنب في ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف تروى ظمأة وتأسو جرحه، وتجبّرُ كسره، وترقأ دمه، وتثير حميته، وتهيجُ حفيظته، وربما غشيت حر القتال، واصطلت جمرة الحرب وصالت بين الصفوف، فكانت لها مواطن صادقات ومواقع صالحات.

---

1 - موسوعة عالم المرأة.

فالإسلام إذن لم يبخل بتاتاً في منح المرأة الكثير من المزايا والحقوق والتي كان الكثير منها غير ممنوحة لها في العصر الجاهلي، أو في الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية، أو عند الفسر أو الرومان.

ومن أبرز ما قدمه الإسلام للمرأة أو أنه ساواها في الإنسانية كالرجل وهذا ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ﴾.

كما أعطى الإسلام المرأة حق حرية اختيار الزوج الذي يناسبها وترتضيه، ولا يملك أحد حق إكراهها للزواج من شخص لا تريد وترفضه، فليس لأبيها أو لأحد أن يزوجها بغير إذنها فيجب أن تسأل عن رأيها، فإذا قبلت به زوجاً لها وإلا فلا يكفي سكوتها، فقد يمنعها حياؤها وخجلها على التصريح بالقبول.

كما دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها رجال الديانات السابقة بها، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها، بل منهما معاً.

يقول تعالى في قصة آدم: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (سورة البقرة، الآية 36).

وقال تعالى عن آدم وحواء: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (سورة الأعراف، الآية 20).

وقال تعالى عن توبتهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآة 23).

بل أن القرآن في بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (سورة طه، الآية 121).

ثم قرر مبدأ آخر يعفي المرأة من مسؤولية أمها حواء وهو يشمل الرجل والمرأة على سواء: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 134).

كما أنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت كالرجل سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 97).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة غافر، الآية 40).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية124).

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ (سورة آل عمران، الآية 195).

وانظر كيف يؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ في الآية الكريمة التالية: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ

وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(سورة الأحزاب، الآية 35).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة، الآية 72).

كما حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب ولا يزال شأن كثير من الأمم، ومنهم بعض الغربيينن فقال تعالى منكراً هذه العادة السيئة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل، الآيات 58- 59).

وحرّم وأدها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (سورة التكوير، الآيات 8- 9).

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة الأنعام، الآية 140).

ورغب في تعليمها كالرجل قال صلى الله عليه وسلم، أيما رجل كانت عنده وليدة (جارية) فعلّمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها[1].

---

1 - أخرجه البخاري 3/ 195 و 7/ 8 والحاكم 1/ 129، وشرح السنة 1/ 55، ومشكل الآثار 2/ 395، وسعيد بن منصور (914) وابن منده في الايمان (55) و(56).

وقال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[1] -قوله كل مسلم: يشمل الرجل والمرأة على سواء، وفي رواية: "طلب العلم فريضة على كل مؤمن"[2] وأيضاً المؤمن يشمل الرجل والمرأة على سواء.

كما أعطاها حق الإرث: أماً، وزوجة، وبنتاً: كبيرة كانت أو صغيرة أو حملاً في بطن امها.

عن جابر قال: جاءت امرأة ببنتين لها فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم احد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله، فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقضي الله في ذلك" فنزلت سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء، الآية 11)، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أدعوا إليّ المرأة وصاحبها، فقال لعمهما: أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك"[3].

---

1 - أخرجه الطبراني 240/10، و"مسند ابي حنيفة" (20) و"جامع مسانيد أبي حنيفة" 1/ 23، و83 و93 و94 و"البداية 322/11 والمريسي في "نقض الدرامي على المريسي" (137) و(141) وابن عدي 6/ 209 و"الفيه والمتفقه" 1/ 44.

2 - أخرجه ابن ماجه (224) و"المجمع" 1/ 119 و120 والطبراني في "الصغير" 1/ 16، و"تاريخ جرجان" (316)، و"تاريخ اصفران" 2/ 57 و156 وابن عساكر 6/ 278، و"الحلية" 8/ 323، والخطيب 275/10، وابن عدي 7/ 2528.

3 - أخرجه الإمام أحمد 3/ 352، وأبو داود (2891) والبيهقي 6/ 229، 216، والحاكم 4/ 334، و342، والدار قطني.

كما نظم حقوق الزوجين، وجعل لها حقوقاً كحقوق الرجل، مع رئاسة الرجل لشؤون البيت، وهي رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (سورة البقرة، الآية 228).

أما رئاسة الرجل: فلكونه هو المكلف شرعاً بالإنفاق على أسرته ومن ثم فهو صاحب الحق في الإشراف عليهم ورعايتهم إذ من الإنصاف والعرفان بالجميل أن نجعل القوامة للرجل لأنه هو الذي ينفق من ماله على أهل بيته ويرعى شؤونهم ويقوم بالعبء الاقتصادي كله، فمن العدل تولية من ينفق على من لا ينفق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (سورة النساء، الآية 34).

إذ جعل الإنفاق سبباً للقوامة على الأسرة.

والرجل أقوى على التحمل الصعاب والصدمات والكوارث التي تقابل الأسرة، فالمرأة بطبيعتها التي طبعها الله عليها كأم مرهفة الحس، عاطفية، سريعة التأثر، شديدة الانفعال، وتلك الصفات الطيبة وضعها الله في المرأة لتقوم بواجبها نحو رعاية أبنائها وشمولهم بعطفها وحنانها، أما الرجل فلا يندفع نحو عاطفته وإنما يفكر ويتأمل ثم يحكم العقل في كل شيء قبل أن يقدم عليه.

وصفات القوامة والرياسة متوافرة في الرجل بطبيعته أكثر منها في المرأة... ولقد أقام الإسلام القوامة على أساس من الرحمة والعطف والمحبة والمشاركة في المسؤولية، ولم يقمها على القهر والتسلط وقيدها بما يحفظ المرأة حقوقها وكرامتها، فإذا كانت المرأة غير متزوجة كان على ولي أمرها أن يحافظ عليها ويصونها، وأن يوفر لها كل ما تحتاج إليه حتى لا تضطر إلى القيام بعمل غير مناسب أو بإراقة ماء وجهها فيما تأباه كرامتها، ويمنعها حياؤها، فالقوامة هنا قوامة رعاية وحسن تنشئة وليست قوامة استبدادية.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل نفس من بني آدم سيد، فالرجل سيد أهله، والمرأة سيدة بيتها"[1].

إن قوامه الرجل على المرأة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، ولا تسلم الحياة في مجموعها إلا بالتزامها، فهي تشبه قوامة الرؤساء وأولي الأمر فإنها ضرورة يستلزمها المجتمع الإسلامي والبشري، ويأثر المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على الخليفة المسلم في العلم أو في الدين إلا أن طبيعة الرجل تؤهله لأن يكون هو القيم فالرجل أقوى من المرأة وأجلد منها في خوض معركة الحياة وتحمل مسؤولياتها فالمشاريع الكبيرة يديرها الرجال، والمعارك الحربية وقودها الرجال، ورئاسة الدولة العليا يضطلع بها الرجال.

وهكذا ترى الأمور الكبرى والمصالح العامة يوفق فيها الرجال غالباً، ويندر أن تفلح فيها إمرأة إلا أن يكون ورائها رجل.

هذا وإن النطاق الذي تشمله قوامة الرجل، لا يمس حرمة كيان المرأة ولا كرامتها، وهذا هو السر العظيم في أن القرآن الكريم لم يقل: (الرجال سادة على النساء) وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق﴿قوامون﴾ ليفيد معنى سامياً بناءً، يفيد أنهم يصلحون ويعدلون، لا أنهم يستبدون ويتسلطون.

فنطاق القوامة محصور إذن في مصلحة البيت، والاستقامة على أمر الله، وحقوق الزوج، أما ما وراء ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه كمصلحة الزوجة المالية، فلا يتدخل الزوج فيها بغير رضاها، وليس عليها طاعته إلا في حدود ما أحله الله، فإن أمرها بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما لم تخل المرأة بحق الله تعالى، أو بحق الزوج فليس له عليها سبيل إلا سبيل التكريم والاحترام.

1 - أخرجه ابن السني (384) و"صحيح الجامع" 4/ 183 للألباني.

بل إن حسن معاشرة الرجل زوجته وحسن خلقه معها من أعظم مقاييس كمال الإيمان وسلامة الدين قال صلى الله عليه وسلم: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائه[1].

وكما أن للرجل حقوق على المرأة، فللمرأة أيضاً حقوق على الرجل منها:

1- العشرة الحسنة:

قال عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: (ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة -أي ظاهرة- فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيل، إلا أن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن)[3].

---

1 - أخرجه الإمام أحمد، 450 و472 و527، وأبو داود (4682)، والدرامي 2/ 323، والحاكم 1/ 3، والطبري في "الصغير" 1/ 218 و"موارد الظمآن" (6311) و(1926) و"المجمع" 4/ 303، و8/ 21 و22 "الحلية" 9/ 248، والبخاري في "التايرخ الكبير" 2/ 130، وابن السني (64) والآجري في "الشريعة" (115) و"التمهيد" 9/ 237 و244 و"تاريخ اصفهان" 2/ 67، وابن ابي شيبة في "الايمان" (8) و(14) و(17) و(18) و(19) و(20) و(42) (125) والبيهقي في "الاعتقاد" (178) وعبد الله بن أحمد في "السنة" (90) والنسائي في "عشرة النساء" (272) والترمذي (1162) وقال: حديث حسن الصحيح.

2 - أخرجه الترمذي (3895) وابن ماجه (1977) والدرامي 2/ 159، والبيهقي 7/ 468، والطبراني 19 / 363، و"المجمع" 4/ 303، و9/ 174 و"موارد الظمآن" (1312) و(1315) و"مشكل الآثار" 3/ 211، و"الصحيحة" (462) و(1174) و(1845).

3 - أخرجه الترمذي (1163) و(3087) وابن ماجه (1851) والنسائي في "عشرة النساء" (287). وأخرج الشطر الأول من الحديث البخار 4/ 161 و7/ 34، ومسلم (الرضا) 60، وابن ماجه (1851) والبيهقي 7/ 295.

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك – أي لا يبغض- مؤمنٌ مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد – في يوم عيد – فقال لي: " يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، فطأطأ لي منكبة لأنظر إليهم، فوضعت ذقني على عاتقه، وأسندت وجهي إلى خده فنظرت من فوق منكبيه وهو يقول: "دونكم يا بني أرفدة"، فجعل يقول: "يا عائشة ما شبعت؟ فأقول: لا، لأنظر منزلتي عنده حتى شبعت[2].

وعنها أيضا قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت: فرس، قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان، قال فسر له جناحان؟ قالت: أني سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه"[3].

وعنها أيضاً: إنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وهي جارية قالت: لم أحمل اللحم، ولم أبدنن فقال لأصحابه "تقدموا" فتقدموا، ثم قال: "تعالي أسابقك" فسابقته فسبقته على رجلي، فلما كان بعد، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: "تقدموا" ثم قال: "تعالي أسابقك" ونسيت الذي كان، وقد حملت

---

1 - أخرجه مسلم (الرضاع) ب 18 رقم 61، وأحمد 329، والبيهقي 7/ 295.

2 - أخرجه البخاري 2/ 20 و4/ 47 ومسلم (العيدين) ب 4 رقم 19 والبيهقي 218/10، والنسائي في "عشرة النساء" (65) (66) و(67) و(68) و(69) و(70) و(71) و(72).

3 - أخرجه أبو داود (الزكاة) ب 4، و(الأدب) ب 61، والحاكم 1/ 390، والبيهقي 4/ 129، و219/10، وابن سعد 8/ 42، والدار قطني 2/ 105، وابن عساكر 2/ 61، والخطيب 11/ 102 و"دلائل النبوة" 1/ 345.

اللحم، وبدنت، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: لتفعلن فسابقته، فجعل يضحك وقال: "هذه بتلك السبقة"[1].

وعنها أيضاً قالت: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤتى بالإناء فأشرب منه وأنا حائض، ثم يأخذه فيضع فاه على موضع فيّ، وإن كنت لآخذ العرق فآكل منه، ثم يأخذه فيضع فاه على موقع فيّ"[2].

وعن جابر بن عبد الله، وجابر بن عمير قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لغو وسهو ولعب، إلا أربع خصال: ملاعبة الرجل إمرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشية بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة"[3].

قال ابن كثير: "وكان من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويسوعهم نفقته، ويضاحك نساءه.

وقال الغزالي في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح[4]، حسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن، ترحماً عليهن، لقصور عقلهن.

ثم قال: واعلم أنه ليس حسن الخلق منها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل، وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه فقال: أتراجعيني؟ فقالت: إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه، وهو خير منك[5].

---

1 - أخرجه الإمام أحمد 6/ 39 و264 وأبو داود (2578) و"الصحيحة" (131) والبيهقي، 10/ 17 و18، و"مشكل الآثار" 2/ 260 و261 والنسائي في "عشرة النساء" (56) و(57) و (58) و(59).

2 - أخرجه الإمام أحمد 6/ 62، وأبو داود (256) والنسائي 1/ 56 و178، وأخرجه مسلم 1/ 168- 169.

3 - أخرجه الإمام أحمد 4/ 148، والحاكم 2/ 95، والطبراني 341/17، والدرامي 2/ 205، و"الصحيحة" (315) والنسائي في "عشرة النساء: (52) و(53) و(54) 2/ 283، وابن عساكر 7/ 430.

4 - إحياء علوم الدين 4/ 720- 722.

5 - من حديث أخرجه البخاري في كتاب "المظالم" باب الغرفة والعلية.

ثم قال الغزالي: إن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والـزاح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال.

قال لقمان رحمه الله تعالى: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي، وإذا كان في القوم وجد رجلاً.

ويستحب للرجل إذا وجد فراغاً ووقتاً أن يشارك المرأة في خدمة البيت، فإن هذا من حسن المعاشرة المأمور به.

قالت عائشة – وقد سئلت عنه صلى الله عليه وسلم- ما يعمل في بيته: كان يكون في مهنة أهله، يقم بيته، ويرفو ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته[1].

كما نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده في أمره فجعل له حداً لا يتجاوزه، وهو الثلاث، وقد كان عند العرب ليس له حد يقف عنده، وجعل لإيقاع الطلاق وقتاً، ولأثره عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام.

قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (سورة البقرة، الآية 229).

كما حد من تعدد الزوجات، فجعله أربع، وقد كان عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي تبيح العدد غير مقيد بعدد معين.

يشن الغربيون المتعصبون من رجال الدين والاستشراق والاستعمار حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات، ويتخذون منها دليلاً على اضطهاد الإسلام للمرأة واستغلال المسلمين لها في إرضاء شهواتهم ونزواتهم.

على أي طراز يفكر الذين يصدون مثل هذا الحكم؟ ألا يرون أن هذا القانون عمل لشعب كان يمرح في أحط ضروب مثل هذا الحكم؟ ألا يرون أن هذا القانون عمل لشعب كان يمرح في أحط ضروب الإباحة، وأنه ألغى نفسه به مقيداً لا

---

1 - أخرجه البخاري 1/ 172، و7/ 85، والترمذي (2489) وأحمد 6/ 126، و206 والبيهقي 2/ 215، و"دلائل النبوة" 1/ 327، وابن المبارك في "الزهد" (348) وابن سعد 1/ 2/91.

يستطيع أن يتجاوز أربع نسوة؟ إني أقرأ في العهد القديم (التوراة) أن صديق الله الذي ينبض قلبه طباقاً لإرادة الله، كان معدداً للزوجات، وزيادة على هذا، فإن العهد الجديد (الإنجيل) لا يحرم تعدد الزوجات إلا على من كان أسقفاً أو شماساً، فإنهما هما المكلفان أن يكتفيا بواحدة، وإني لأجد كذلك تعدد الزوجات في الكتب الهندية القديمة، وما يتهمون الإسلام إلا لأنه من السهل على الإنسان أن يشنع على عقائد الخير وشهّر بها، ولكن كيف يجوز أن يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند الشرقيين ما دام البغاء شائعاً في بلادهم؟ ومن يتأمل فلا يجد وحدة الزوجة محترمة إلا لدى نفر من الرجال الطاهرين، فلا يصح أن يقال عن بيئة إن أهلها موحدون للزوجة ما دام فيها إلى جانب الزوجة الشرعية خدينات من وراء ستار.

فالإسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات، بل كان موجوداً في الأمم القديمة كلها تقريباً: عند الاثينيين، والصينيين، والهنود، والبابليين، والأشوريين، والمصريين، ولم يكن له عند أكثر هذه الأمم حد محدود، وقد سمحت شريعة "ليكي" الصينية بتعدد الزوجات إلى مائة وثلاثين امرأة، وكان عند أحد أباطرة الصين نحو من ثلاثين ألف امرأة!

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام كان عنده زوجتين، وقد أعلمتنا السنة أن نبي الله سليمان عليه السلام كان عنده مائة امرأة وفي رواية أخرى سبعين امرأة والأدلة على ذلك كثيرة.

كما جعلها الإسلام قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها، وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية وتأديب وعناية بشؤونها وتنمية لأموالها لا ولاية تملك واستبداد.

وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية للالتزامات المالية كالرجل سواء بسواء ومن تتبع أحكام الفقه الإسلامي نرى فرقاً بين أهلية الرجل والمرأة في شتى أنواع التصرفات المالية كالبيع، والإقامة، والخيارات، والسلم، والصرف، والشفعة، والإجارة، والرهن، والقسمة، والبينات، والإقرار والوكالة والكفالة، والحوالة، والصلح، والشركة، والمضاربة، والوديعة، والهبة، والوقف، والعتق، وغيرها.

في هذه المبادئ نعلم أن الإسلام أحل المرأة المكانة اللائقة بها في ثلاثة مجالات رئيسة هي:

1- المجال الإنساني: فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل وهذا ما كان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتمدنة سابقاً.

2- المجال الاجتماعي: فقد فتح أمامها مجال التعلم وأسبغ عليها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها منذ طفولتها حتى نهاية حياتها، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر: من طفلة إلى زوجة، إلى أم، حيث تكون في الشيخوخة التي تحتاج معها إلى مزيد من الحب والحنان والإكرام.

3- المجال الحقوقي: فقد أعطاها الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من اب أو زوج أو رب أسرة.

كما كفل الإسلام للمراة حق التقدير والاحترام والإكرام، كما أوجب لها حق الرضاعة والحضانة والكفالة على الأبوين وحرم عليها كل ما يضرها أو يسيء إليها في صحتها أو سلامتها.

وهناك مجموعة من الأدلة التي تؤكد بأن الإسلام قد أعطى المرأة حقها كاملاً ولم يبخسها هذا الحق، ألا يكفي أنه أفرد لها في كتابه العزيز سورة كاملة للحديث عنها وعن دورها في الحياة وهذا ما ورد في سورة النساء، إضافة إلى ذكرها في مواضع أخرى وصور متنوعة.

ومما قاله القرآن في ذلك كما ذكرنا سابقا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (سورة النساء، الآية 1).



الفصل الثالث

المرأة في دائرة الشبهات والاتهامات

تمر المرأة في هذه الأيام بفترات عصيبة وذلك أمام الضغوطات النفسية والاجتماعية للخروج بها من ثوب الطهارة والنقاء والصفاء، وتيسير هذه الدعوات ما تقوم به وسائل الإعلام الفاضحة وبعض الحاقدين على هذا الدين الحنيف فهي مجموعة من الغيوم فالحق كما نعلم شمس ساطعة قوية، مهما حاول الأعداء نفث هذه السموم الخبيثة، ولكن الله يحق الحق ولو أبى الظالمون منهم وترهاتهم ومؤامراتهم، كالغيمة التي يمكن أن تحجب للحظات ثم تقشع بسرعة، وللإسلام حراس للذود عنه، ليسدوا الثغرات التي يحاول المبطلون أن ينفذوا إليها ليهدوا بنيانه من هنا كما نعلم جاءت الردود حول شبهات تثار عن المرأة التي يحاول الكثير من الأعداء والمتربصين محاصرتها بأوهام الباطل اعتمدوها لتضليل المرأة، فتخرج من دينها، أو تنحرف عنه ليزجوا بها في سجون معتقداتهم وأقاويلهم الباطلة.

الواقع أن المؤمنين لعلى ثقة من ربهم تعالى ودينهم الذي لا يأتيه الباطل، لذلك فإنا نهمس في آذان المبطلين، ونقول لهم: إن الحق باق، والباطل زائل، مهما حاولتم التضليل للعقول، فإن الهزيمة هي مصير باطلكم، وأن الله سيرزقنا اتباع هذا الحق، ويعرفنا بأن الباطل باطلا والحق حقاً[1].

والحقيقة أن هناك مجموعة من هذه الشبهات:

الشبهة الأولى:

لا تحدد علاقاتها الجنسية، بل تترك لمن ترغب هي في عمل علاقات ودية معه... فمتى يعطيها الإسلام كل هذه الحقوق؟

نقول: لم تحرم المرأة في دينها الحنيف من حرية التملك والقبض والصرف ولم يجز لأبيها أو زوجها أو أحد آخر أن يتدخل في شيء منها وفوق ذلك فإنها إن كسبت ثروة لها أن تستثمر أموالها بالتجارة، أو بجهدها، أو عملها الشخصي، فهي مالكة أيضاً لها في كل الوجوه، ومع هذا أوجب الإسلام على الرجل النفقة مهما كانت غنية أو ثرية فلا يبرأ زوجها من أداء نفقتها[2].

---

1 - شبهات حول المرأة المسلمة، منى أبو راشد، ص25.

2 - الحجاب ص262.

والإسلام يعتبر المرأة ذات سيادة كاملة على أموالها في حين أن القانون الفرنسي المدني كان ينص على أن المرأة ليست أهلا للتعاقد دون رضا وليها وإن كانت غير متزوجة.. وقد جاء النص فيه أيضاً على أن القاصرين هم: الصبي والمجنون والمرأة!! واستمر الحال حتى عام 1938م حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة، ومعنى قاصرة أي لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن زوجها، ويمكنه حرمانها من أموالها دون أن يحاكم أو أن تطالب هي بحقها[1].

أما الإسلام فقد أعطاها حق التملك والتصرف بمالها، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (سورة النساء، الآية 32)، فالمرأة في الإسلام إن بلغت رشدها.. يحق لها البيع والشراء.. وأن تؤجر أو تشارك، كما يحق لها أن توصي وتهب دون أن يتوقف ذلك على إذن زوجها أو غيره.

مما سبق نتوصل إلى تأكيد حقيقة إعطاء المرأة الحرية الاقتصادية في ظل الإسلام، في حين أن المطالبين بأن تتملك المرأة الغربية لم يحققوا ما يدعون إليه ولم يعلموا لتحقيق ذلك.

أما الميراث فالإسلام قد تفرد بإعطاء المرأة حقها في الميراث، وتعالت الأصوات التي -تعيب- على الشريعة الإسلامية إعطاء المرأة حق (النصف) من حق الرجل في الإرث، ولم ينتقد أحد أن الشريعة اليهودية حرمت المرأة من الإرث..! فالشرع -الإسلامي- جعل لكل نصيبه بدقة متناهية، وبعدالة لم يعرف لها نظير في أي نظام آخر، وتقع الملابسات الكثيرة حول موضوع الإرث للمرأة ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ ، ويعتبرون أن في هذا منقصة للمرأة دون النظر للأمور بمدى أبعد من مسافة الثوب عن البدن، وحقيقة الأمر هو العدالة في توزيع الأعباء والواجبات بناء على قاعدة منظمة.

أما الرجل فعليه أعباء ومسؤوليات مالية لا تلتزم بمثلها المرأة كالمهر والنفقة وتجهيز بيت الزوجية والإنفاق على الأسرة، وفي الوقت ذاته فإن المرأة غير مكلفة بهذه الأعباء- إلا ماجادت به نفسها طواعية دون إلزام أو قسر.

---

1 - المرأة بين الفقه والقانون.. ص21.

من هنا كان العدل، فالإسلام كان كريما سخيا مع المرأة حين طرح عنها الأعباء وألقاها على الرجل، ثم أعطاها نصف ما يأخذ... أليس ذلك أفضل من أن تحرم من كل شيء وتلزم بالنفقة على الأسرة مثلها مثل الرجل؟! ألم يكن الإسلام رحمة عليها؟ ألم يعطها الحرية بعد؟؟

أما عن الحرية الجسدية فماذا يقصد بها الفائقون؟ أليس المقصود بها أن تباح العلاقات المحرمة بين الجنسين؟ هل من أجل هذا ترفع القضايا؟ وتصرخ النساء بها؟ ويصرخ أشباه الرجال ولا رجال؟

إن جميع الأديان تحرم هذه الإباحية، وترفض الانحلال، والإسلام يحول بينها وبين الفاحشة كباقي الأديان، بل يحفظ لها كرامتها، ويعلي من شأنها، ويرفع لها قدرها، فكيف يقبل لها مكانة متدنية؟!

إن المرأة في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلدان الغربية تأرجحت النظرة لمكانتها من كائن منحط أشبه بالأشياء منه بالأحيان، إلى اعتبارها شيطانا رجيما يوسوس بالشر والخطيئة، إلى اعتبارها سيدة المجتمع والمتحكمة في أقداره وأقدار حاكميه، إلى اعتبار أنها عاملة عليها أن تكافح وتشقى لتعيش ثم تحمل وتصنع وتربي!!

كما تأرجحت العلاقة بين الجنسين بين اعتبارها علاقة حيوان بحيوان إلى اعتبارها دنساً ورجساً من عمل الشيطان، كل ذلك في العصور التي مرت على المجتمع الأوروبي منذ عهد الامبراطورية الرومانية.. ونظراً لهذا التخبط الذي عانت منه البشرية في أطوارها المختلفة وهي تشرد عن الله وتتخذ من المناهج الوضعية دستوراً لها يحكم عليها بالجور، وصلوا الآن إلى أن يطالبوا للمرأة بالحرية الجنسية[1]!!

فأما النظرية الصائبة للمرأة -من خلال ديننا- فهي أنها شطر النفس الإنسانية وأنها صانعة الجنس البشري والحارسة على العش الذي تدرج في الطفولة، والأمينة على أنفس عناصر هذا الوجود (الإنسان).. ولا يعدل دورها في هذا المجال واتقانها في هذا العنصر، إتقان أي عمل آخر، وذلك لاعتبارات فطرية عديدة..

---

1 - شبهات حول المرأة، ص12.

أما العلاقة الجنسية فهي أداة لخدمة النوع البشري بإنشاء المحضن الآمن النظيف الواعي المتخصص لإنتاج صناعة البشر، وجعل الإسلام هذه العلاقة المقدسة بين الزوجين تحت رباط مقدس لها حقوق- لكل طرف على الآخر- وعليها واجبات.. فقد أمر الزوج ألاّ يطيل الغياب والسفر عن زوجته فيتركها وحيدة- إلا بإذنها- وبشرط ألاّ يؤذيها ذلك.

فالإسلام حقق حرية جنسية دون مطالبة بالانحلال، وجعل هذه الرغبات غاية – لا وسيلة- في هذه الحياة.

الشبهة الثانية:

انتشر الحجاب في الآونة الأخيرة، وقد لبسته الفتيات واختلط الحابل بالنابل فأصبح المرء لا يستطيع التمييز بين ما تلبسه كستار لإخفاء الأعمال المشينة أم مرضاة لله. وهذا يعني أن الحجاب لم يردع الفاسدة عن فسادها بل ساعدها على إخفاء ما تعمله!!

وما نقوله: بفضل من الله تعالى انتشرت صيحة إسلامية في أرجاء المعمورة ووصلت إلى أقاصي البلدان التي ما كنا نحلم أن تصل إليها الصحوة وكان الناس كانوا نياماً ثم استيقظوا على واقع الأمة المؤلم.. فرجع وأناب من كان عاصياً.. وآمن وسلم من كان جاهلا، وقد انتشر الحجاب بشكل كبير بين الفتيات حتى أن البعض منهن التزمن بالنقاب، ولكن المسلمة المؤمنة التقية التي جاء ذكرها في كتاب الله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(سورة الأحزاب، الآية 35).

تلك الإنسانة ليست شكلا فحسب، فلا يمكن لأي امرأة تضع الحجاب على رأسها أن تحجب على الناس أخلاقها وتعاملها، إذ سرعان ما يظهر كل ما تحمله في جوفها من أخلاق وطباع، واللاتي يحاولن أن يتسترن على أعمالهن يسئن للحجاب ولا ننكر ذلك.. ولكن لا نستطيع أن نأمرهن بنزع الحجاب، وليس معنى ذلك أن الحجاب سيئ بسوء أصحابه، وحسن بطيب أصحابه، بل من الأوجب أن ننصح سائر المسلمات بالإلتزام الصحيح بالحجاب، فربما كانت هذه جاهلة بأهمية الحجاب وحقيقته!!

كما أن وضع الحجاب من بعض الجاهلين به والمسيئين له لا يعني أن تتخلى عنه النساء!! فهل لو أساء طبيب طالبنا بشنق كل الأطباء؟ ولو ارتشى مؤتمن نفقد الثقة بكل المسلمين؟ أو لو خان الجندي بلاده نطالب بتسريح الجيش كله، وإلغاء شيء يسمى القوات المسلحة؟! الجواب البديهي لا.. كذلك فإن هذا التبرير- لا نسلم به ولكن نفترض- لو وجد لكن هذا أدعى للمحافظة على الحجاب، وزيادة جرعات التربية والتطهير ليكون التكامل بين المظهر والمخبر، والداخل والخارج.

لكن أرباب الشبهات يريدونها: (على عينك يا تاجر) تحت دعاوى مردودة، وشبهات لا وزن لها.

أما من زينت مظهرها بحجاب شرعي وزينت أخلاقها وطباعها بحجاب التقوى والإيمان فتلك كشامة في العالمين، تتميز بحسن العقل وحسن السمة لا يستطيع أحد أن ينكر حسن تعاملها وكله على أساس من دينها وكتاب ربها.. وخلق رسولنا الكريم، نجد لسانها الذي تطهر بكلمات الله لا ينطق إلا بالطيب من الكلام فلا تعرف البذاءة ولا السباب، بل بإسداء النصح بالحكمة والموعظة الحسنة، ينير وجهها الإيمان ويزين أعمالها الإحسان، تزداد بالحياء وتتجمل بالعمل الحسن، وشعارها العفة، تلك هي صاحبة الحجاب الشرعي وهي التي تفخر بها الأمة فهي جوهرة مكنونة يطلبها الغواصون، وهي درة محفوظة لا تمسها الأيادي، ولا تشوهها العيون، أحاطت نفسها بعزة الدين، وأحاطها بحمايته من كل سوء لأنها رفعت راية: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ لذلك لا ينكر من رآها أو عرفها أنها صاحبة الحجاب الشرعي الحق وليس أحد غيرها.

الشبهة الثالثة:

إن المرأة تميل بطبعها للزينة وإظهار زينتها ، والحجاب يحرمها من ذلك ويفرض عليها تغطية ما ترغب إظهاره.. فلماذا كل هذا التعنت؟

نعم إن المرأة تحب أن ترى حسنها وجمالها ، وهذه الرغبة لا تكون جلبة بارزة جدا.. ولكن النزوع إلى إظهار الزينة يكمن لا محالة في مطاوي النفس، وهو الذي تظهر آثاره في زينة اللباس وتجميل الشعر، وانتخاب الأزياء الرقيقة الجذابة[1] ولكن هل معنى ميل النفس لأمر ما أن نعطيها إياه؟!! بل النفس تطلب ما لا يحصى من المطالب فلا أظن أن أحداً يستطيع أن يحقق لنفسه كل ما ترغب فيه؟.. ولو تركت كل أنثى الأمر لأهوائها ورغباتها لخرجت مبدية زينتها ومفاتنها لتنال السعادة المؤقتة بكلمات الإطراء ونظرات الإعجاب.. وفي ذلك هلاكها وهلاك الأجيال.. إن إبداء الزينة والتبرج بحد ذاته ليس فيه حرية، بل هو قيد يكبل المرأة في زنزانة ضيقة والدليل سنوضحه.. (إن من طبيعة الأنثى عند بلوغها سن الحيض أن تقوى في نفسها رغبة أزلية في التجمل والتزين، رغبة في ظهورها جميلة فاتنة، جذابة، وهذه الرغبة تحمل الفتاة أعباء نفسية عظيمة وقلقاً ذهنياً متصاعدا، وهموما أنثوية متزايدة لون البشرة، الطول الزائد، القصر الزائد وغيرها. أي فتاة تبلغ سن الحيض وتنجو من أحد هذه الهموم في الشكل والمظهر؟ أليست هذه الهموم قيوداً تسبب لها الكآبة والقلق والتوتر الدائم؟! فقد أكدت الدراسات ذلك ففي دراسة اجتماعية نشرت في واشنطن أظهرت أن الفتيات الصغيرات اللآتي تجاوزن 12 عاماً أكثر عرضة للكآبة النفسية من اقرانهن الذكور وذلك بسبب انشغالهن الدائم بالتفكير في مظهرهن الخارجي[2] وسن البلوغ هو السن الذي فرض فيه الحجاب عليها، والحجاب يحجب فتنتها وجمالها عن الأجانب فقط، وليس معناه أن تحجب الفتاة عن كل الناس كما يفسره الجميع بأنه مظهر من مظاهر الكبت، فالإسلام ينظم

---

1 - الحجاب ص282.

2 - من أجل تحرير حقيقي للمرأة ص141- 142.

رغبات النفس، أي أنه يحرم إبداء الزينة أمام الأجانب من الرجال لكنه لا يحرمه أمام النساء ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ . . ﴾ (سورة النور، الآية 31) إلى آخر الآية التي ورد بها ذكر المحارم.

وقد ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال: "يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت الحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا" وأشار لوجهها وكفيها. أخرجه البيهقي وأبو داود.

ومتى وضعت المرأة الحجاب.. انتهت كآبة الاهتمام المبالغ بالمظهر وبالتالي تحصر الاهتمام بالتجميل في أوقات معينة وظروف معينة كأن تكون بين مجتمع نساء أو أمام محارم، فلا تحمل هم الخروج من المنزل بمزيد من التبرج وصرف الأموال على صبغات الوجه، واتباع الموضوعات، ومنافسة الزميلات والصديقات على النفس لا يكون بالحجاب الشرعي والذي يحمل صفات هي: ألا يكون رقيقاً يشف عن جسمها، أو يصف حجم عظامها وهيئة جسمها ولا يكون ضيقاً، ولا يحمل ألواناً زاهية، أي أن يكون فضفاضاً واسعاً لا يبرز شيئاً من الجسم[1].

إنما يكون في حسب الجسد في لباس ضيق يعوق الحركة والتنفس أو حبس الأقدام بحذاء يميل بصاحبته كما تميل الشجرة الطويلة عند هبوب الريح أو تغطية الوجه بطبقات من المساحيق ورفع الشعر وشدة ربطه بطرق مؤلمة.. أليس هذا هو القيد الحقيقي؟ إن خروج المرأة بكامل زينتها يحمل معاول هدم للمجتمع وهلاك كبير، لذلك حفظ رب العزة المرأة من نفسها وصانها وأكرمها بالحجاب ليدفعها عن الخضوع لما تأمره النفس فهو تعالى أرحم بالإنسان من والديه فكيف لا يرحمها وهو أعلم بالأذى والمهانة التي ستعترض حياتها ومدى الأخطار التي ستترتب على

1 - شبهات حول المرأة، ص16.

الظهور بزينتها، قال صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس: انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المساجد فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبست نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد" رواه ابن ماجه، لذا لا يترك الأمر لهوى النفس بل لا بد من ضوابط وإرشادات تعين السفينة على الإبحار إلى بر الأمان والقاعدة الجلية مجسدة في قوله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (سورة يوسف، الآية53).

ولو نظرنا للتبرج والسفور من جهة أخرى ففي كثير من البلدان تكثر فيها حوادث السير والسبب وجود امرأة تسير في الشارع تميل بلبس يشف ويصف مفاتنها فيلتفت السائقون إليها وتحدث الحوادث.

ففي تصريح لمدير شرطة مدينة جورج تاون حمّل فيه النساء اللاتي يتكشفن ويرتدين الثياب المثيرة مسؤولية حوادث الاصطدامات وحوادث الطرق وقال: إن المسؤولين إذا لم يجدوا حلاً جذرياً وسريعاً لمنع ارتداء -المنيجوب- فإنه سيصبح أكثر خطرا على الإنسان.. كذلك وجود المرأة السافرة والمتبرجة في الأعمال بين الرجال تشغلهم عن أعمالهم وتكون سببا في قلة العمل فأصدروا مرسوماً داخلياً طلبوا فيه من العاملات عدم ارتداء الملابس المثيرة[1].

الشبهة الرابعة:

إن الدين والإلتزام الأخلاقي ممارسات تراثية ورثها الإنسان عن الآباء والأجداد، وكلها مفاهيم تعوق انطلاقة المرأة بما تفرضه عليها من قيود.. لذلك فليس للدين داعٍ في حياة المرأة.. ولا بد من تحريرها منه لأنه لم يحقق لها مكانة عبر العصور؟؟

ما أهمية الدين في حياة الإنسان؟

إن معنى خروج الإنسان عن دينه وأن يتخلى عن أخلاقه أن يتخلى عن إنسانيته وكرامته، ويلغي كل الفوارق بين الإنسان والحيوان، فماذا سيبقى له بعد الأخلاق والالتزامات الدينية التي تسمو بروحه؟ ستبقى له شهواته وغرائزه تكون

1 - نحو تحرير حقيقي للمرأة ص144- 146.

المتحكم الرئيسي فيه، وبذلك يسقط إلى مرتبة البهائم، وقد قال تعالى في هؤلاء: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(سورة الفرقان، الآية 44) واصفاً الكفار بأنهم ليسوا جديرين بصفة الإنسانية بل هم أشبه بالحيوانات أو هم أسوأ حالاً وأضل سبيلا، ولعل بعض الناس لا يقبل هذا الكلام.. ولكن لو تأمل حال الكافرين وحال من استسلموا لشهواتهم لوجدهم عملياً يعتبرون الحيوانية المثل الأعلى لهم!! والدين الاسلامي- بشرائعه وأحكامه وبكل ما تحتويه قد حقق الإنسانية من جميع جوانبها وميز الإنسان ورفع مستواه للسير في خط التميز عن الحيوان.. والتميز هنا هو التميز العقلي والروحي والأخلاقي والسلوكي والاجتماعي الذي يجعل للحياة معنى، سواء للرجل أو للمرأة.. أما أولئك الذين يرفضون الدين ويستسلمون لشهواتهم فأولئك قد عطلوا جوانب كبيرة من إنسانيتهم، وتساووا مع البهائم[1].

لكن هل تحققت للمرأة مكانة في ظل الإسلام؟؟

من الذي ادعى زوراً وبهتاناً أن الدين لم يحقق للمرأة مكانة؟ لم يكذب من قال إنها ظلمت في كل العصور.. إلا في عصر الإسلام.. والتاريخ يشهد بذلك.. وهو الذي سطرت المرأة فيه بطولات لامعة وازدهرت بحضارة واسعة.. وكم من صور مضيئة من إكرام الإسلام لها في سجلاتنا.. لكن هناك من يحاول عبثاً أن يسيل التراب عليها.. حتى لا يراها أحد (وقد وصلت المرأة لأعلى مكانات التكريم أماً كانت أو بنتاً أو زوجة أو امرأة من سائر أفراد المجتمع)[2]:

أولاً- المجال الإنساني:

برّأها من التهمة التي ألصقت بها من رجال الديانات السابقة وهي إخراج آدم من الجنة، ووضح الحقيقة في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (سورة البقرة، الآية 36).

---

1 - الإسلام ص291- 293.

2 - المرأة وكيد الأعداء.

والحقيقة هي أن الخطأ نشأ عنهما الاثنين وليس منها وحدها ، كذلك رفع عنها الإسلام خطأ حواء المشترك مع آدم بإطاعة الشيطان بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 141).

كما ساوى الإسلام بينها وبين الرجل في التكليف والجزاء، فليس لأحد منهما حظ دون عمل، وليس لأحد حظ من الجنة بقدر أكثر إذا ما تساوى العمل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 79).

كما أن مقياس التفاضل بين النساء هو العمل الصالح.

ثانياً- المجال الاجتماعي:

الإسلام توعد بالعقاب من يخالف أمره.. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألت رسل الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله أنداداً وهو خالقك، إن ذلك يعظم".. ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك" رواه البخاري ومسلم. أي جعل قتل الأبناء ذنباً عظيماً مهما كان السبب قال تعالى: وَإِذَا ﴿الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (سورة التكوير، الآيات 8- 9) ولقد قبّح الإسلام صنع أصحاب العقائد المنحرفة الذين يبغضون الأنثى، ويكرهون ولادتها، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل، الآيات 58 - 59).

ولقد رغب الإسلام في الإحسان إليهن، وأمر الوالدين بالعدل ففي حديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعدلوا بين أبنائكم، أعدلوا بين أبنائكم، أعدلوا بين أبنائكم" رواه البخاري.

وأمر وليها أن يعلمها ما ينفعها في دينها وحياتها بضوابط شرعية حددها الإسلام، حفاظا عليها، فلا يكون في جامعات مختلطة، وألا تتغرب بدون محرم، وأن تتعلم ما ينفعها وقد كانت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها تتعلم القراءة والكتابة على يد امرأة تدعى الشفاء العدوية كما مدح النبي صلى الله عليه وسلم نساء الأنصار اللائي "لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" رواه البخاري.

ماذا قدم الإسلام للزوجة من حقوق؟؟

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (سورة الرعد، الآية 38).

وهي أساس الأسرة، وقاعدة يرتكز عليها المجتمع، لها حقوق تطالب بها بالقضاء مثل المهر والنفقة بالمعروف قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (سورة النساء، الآية4).. كما أوجب على زوجها أن يؤمن لها السكن والملبس ويعلمها أصول دينها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (سورة التحريم، الآية 6) وتكون الوقاية بتعلم الفرائض.

وقبل ذلك كله لها حرية قبول الزوج أو رفضه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تنكح البكر حتى تستأذن، والثيب حتى تستأمر" رواه البخاري.

أما وقد اقترن حقه تعالى بحقها، وجعلت الجنة تحت قدميها، فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله: (يا رسول الله: من أحق الناس بحسن

صحبتي؟ قال صلى الله عليه وسلم: "امك" قال ثم أي .. قال: "أمك".. قال: ثم أي؟ قال: "أمك".. قال ثم أي؟ قال: "أبوك" رواه البخاري.

وقد يشتاق المرء للشهادة والهجرة في سبيل الله ليحظى بالسعادة في الدارين (ولكن حق الأبوين في البقاء معهما والإحسان إليهما مقدم على ذلك كله ما لم يتعين الجهاد) [1] فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكيان، قال: "ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما" رواه البخاري.. وفي حديث له ﷺ "عندما جاء رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت ذنبا عظيماً، فهل لي من توبة؟ قال: هل لك من أم؟ قال: لا، قال هل لك من خالة؟ قال: نعم.. فبرها" فجعل رضا والدته أعظم معين على غفران الذنوب.

بتحقيق هذه الظروف الملائمة للمرأة المسلمة، خرجت في عهد الإسلام أبطالا أفذاذا رفعوا رايات الإسلام على كل شرف، ووصلت بهم حضارة الإسلام إلى أقاصي المشرق والمغرب، وذلك كله بتوفير المناخ الملائم لصلاح المرأة.

الشبهة الخامسة:

يدعي الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في حين يؤمره عليها ويتركه يتسلط عليها.. فأين المساواة في ذلك وأين العدل؟

الرد:

معنى المساواة في الإسلام والتي تحقق بها العدالة أن يتساوى الإثنان في الحقوق والواجبات، كل في مجاله وتبعا لقدراته.

فالمساواة حق مقابله حقوق وواجبات يليها كل منهم طبقا لدور صاحبها في المجتمع وجملة العقائد والعبادات والأخلاق والأحكام التي شرعها الله مكلف بها الرجل والمرأة ويجازي كل واحد منهما على ما عمل وفيما قصر فيه، ولا دخل لصفات الذكورة والأنوثة في تقديم أو تأخير مثوبة أو عباب، ويمكن أن تتقدم المرأة

1 - المرأة وكيد الأعداء.

على الرجل وتفوز بالأجر والثواب، وتكون لها مكانة كبيرة عنده عز وجاه كما كان لآسية زوجة فرعون التي قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكان ان جعل الله لها قصرا في الجنة ، وعاقب فرعون بأن أغرقه في البحر.. لأنها صدقت في إيمانها، وثبتت أمام العذاب فاستحقت الثواب والمكانة السامية وهو ظلم وتجبر فاستحق العقاب.

ويمكن أن يعلو الرجل بطاعته وصبره فيكون له الأجر والمغفرة، ويترك لها العقاب بمعاصيها كما في قصة نوح- عليه السلام- فنجاه الله وأغرق زوجته مع الغارقين مصداقا لقول الحق: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (سورة الحجرات، الآية 13).

والضمير في (أكرمكم) يعود على الرجل والمرأة على السواء، ولكن ما المقصود أن تكون المرأة للرجل كالند للند كما ينادي ذوو السطحية من المثقفين أو بعض المستشرقين من أصحاب الآراء الاجتماعية ممن قد يوجههم ميل، أو يقودهم هوى عندما يزعمون أنه من الممكن مساواة الرجل والمرأة مساواة تامة في كل شيء فهم بدعواهم يطالبون بما ينافي طبائع الأمور، لأن رسالة المرأة في الحياة تختلف عن رسالة الرجل في كثير من جوانبها، وينادون بما يجافي حقيقة الواقع لأن المرأة تختلف في قدراتها وإمكاناتها التي جبلت عليها عن الرجل[1] وهذه الدعوة في فحواها تحمل المضرة للمرأة عندما تتساوى مع الرجل في كل شيء تقول الكاتبة (فرانسواز ساجان) أيتها المراة الشرقية: إن الذين ينادون باسمك، ويدعون إلى مساواتك بالرجل.. إنهم يضحكون عليك فقد ضحكوا علينا من قبلك[2].

هل يسير الركب بدون قائد؟؟

1 - مكانة المرأة في الإسلام، ص17.

2 - توجيهات إسلامية، ص125.

بعد أن ساوى الإسلام بين الرجل والأنثى كان لا بد للقارب من قائد، ولا بد أن تتوفر فيه شروط، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (سورة النساء، الآية 34).

فقد ألزمه تعالى أن يقوم بأمرها ويكون هو العائل لها وللأولاد، وهو المسؤول عن الإنفاق على الأسرة، ولقد فسر العلماء قول الحق: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أنه متى عجز الزوج عن نفقتها لم يكن قواما عليها، وإذا لم يكن قواما عليها كان لها فسخ العقد.

ويقول الرازي في تفسيره: (إنما فضل الرجال على النساء في الميراث لأن الرجال قوامون على النساء، فإنهما وإن اشتركا في استمتاع كل واحد منهما بالآخر، أمر الله الرجال أن يدفعوا إليهن المهر، ويدرّوا عليهن النفقة، فصارت الزيادة من أحد الجانبين مقابلة بالزيادة في الجانب الآخر، فكأنه لا فضل البتة، فهذا هو بيان كيفية التنظيم[1].

فطبيعة الرجل البيولوجية والفسيولوجية تؤهله للقوامة، ومهام المرأة وأعباؤها توجب أن يقوم الرجل بحمايتها والإنفاق عليها دون ظلم أو قصر لها، وهو محاسب إن فعل ذلك.. ولا يعني الظلم الواقع من بعض الأفراد لسوء فهم معنى القوامة وجود العيب في هذا النظام السماوي ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة البقرة، الآية 228). وقد بدأت الآية الكريمة بحقوقهن قبل واجباتهن، وفي هذه التقدمات ما يؤكد تلك الحقوق.. فما يقرره الإسلام إنما هو قائم على ميزان دقيق النظرة، عميق الفكرة، لا يحابي ولا يحيب.. ولو كانت القوامة للمرأة لما سكتت الألسنة، ولتعالت الهتافات بطلب القوامة للرجل!! أما من يطلبون المساواة، ومن

---

1 - من أجل تحرير حقيقي، ص91- 92.

يهتفون بها ، هل حقق واقعهم الذي تشكو منه المرأة شيئاً من مزاعمهم؟ كفى بواقعهم شهيدا.

الشبهة السادسة:

ظلمت المرأة بما يناط لها من أعباء ومسؤوليات.. فهي دائماً مطالبة بواجبها كزوجة أو أم، أو بالدورين معاً.. في قيد أسمه الأسرة.. فلماذا لا ينظرون لذاتها ولشخصيتها ولا يبعدون عن كاهلها تلك المسؤوليات ويتركونها حرة طليقة.. لتثبت ذاتها ومقدرتها في العمل؟

ما هي الأسرة؟ وما حقيقة دور المرأة فيها؟

الأسرة هي اللبنة الأساسية والرئيسية في بنيان المجتمع، مجموعة أسر أو لبنات وزوجات هما قاعدتان يقف عليهما بنيان الأسرة.. والهدف من الأسرة هو إنشاء الإنسان الصالح ليكمل هذا البنيان العظيم بلبنات جديدة صالحة، ومسؤولية المرأة في الأسرة ليست بالأمر البسيط، ولا العمل السهل، فمسؤوليتها هي المحافظة على أركان هذه العلاقة المقدسة، وأيضاً تربية ثمرة هذه العلاقة ألا وهم الأبناء والتربية بمفهومها موهبة وعلم وفن. وتطلب من المرأة المجهود العقلي والنفسي والجسدي والفكري. حتى تستطيع أن تنشئ جيلاً صالحاً. ودورها هذا مشترك بينها وبين الزوج، ولكن دورها يكون في الدرجة الأولى.. وهذه تعتبر مهمة خطيرة لأنها تنشئة إنسان يمكن أن يكون له شأن كبير في يوم من الأيام.. ولكي تتم عملية التربية يجب أن يكون المربي ملماً بجميع الجوانب الواجبة عليه بناؤها وتطويرها في الطفل، أي إنها مهمة صعبة وخطيرة، والتقصير فيها له نتائج وخيمة.

المرأة.. أين تجد نفسها وكيف تحقق ذاتها؟

المرأة بفطرتها وطبيعتها وبقدراتها تحب البيت.. وتتمنى الزوج، وتحلم بالأطفال ولا تستطيع التمرد على فطرتها هذه بل العكس، إنها إن تمردت كما حصل لبعض اللواتي خدعن بالمظاهر البراقة للحرية الأكذوبة..! رجعت مرة ثانية إلى بيتها.

تستطيع المرأة أن تجد ذاتها وتحقق أحلامها، وتنمي مواهبها في كثير من الاتجاهات ففي عهد الإسلام وجدت الأديبة والشاعرة والمجاهدة والممرضة والمعلمة.. والأمثلة لدينا كثيرة، مثل نسيبة بنت كعب التي دارت وحاربت في معركة أحد، حتى جرحت جرحا بالغا استمر طوال العمر يؤلمها.. وعائشة أم المؤمنين كانت تعلم الأحاديث التي حفظتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمها للرجال والنسا.. وفي عصرنا نجد حولنا في المجتمع من حققت ذاتها ووصلت لمكانة عالية من التقدير والاحترام في أهلها بتضحياتها وببذلها الجهد وأقرب مثال: (امرأة لها من الأولاد ثمانية.. تعيش في ظروف حياتية متوسطة.. قررت أن تخرج من بين أيديها رجالا تفخر بهم أمتهم.. فقدمت منهم الطبيب والمهندس والداعية المعروف وكذلك فهي كاتبة.. تقدم النصيحة بكتب مطبوعة أليس هذا تحقيقا للذات؟ ولو تمردت وطالبت أن يخلوا سبيلها ممن هم المسؤولية لتشرد الأولاد ولهدم البيت على رؤوس أصحابه.. وتشهد زوجة رئيس جمهورية جنوب أفريقيا بقولها: إن البيت هو المكان الطبيعي للمرأة وإن واجبها الرئيسي يتطلب منها خدمة زوجها وأولادها، ومنحهم الاستقرار والسعادة.. إن وظيفتنا في المجتمع هي وظيفة يجب أن نفخر بها لأنها تصنع رجالا صالحين وأجيالا سوية)[1].

ولو فرضنا أنها غير متزوجة وليست أما، فكيف ستجد ذاتها بغير العمل؟ أمر الله تعالى المسلمين بالتعليم، وأوجب على ولي المرأة سواء الزوج أو الأب أن يفقهها ويعلمها ما ينفعها ومن تستطيع أن تبحث وتتعلم بالضوابط الشرعية التي أمامها تم ذكرها سابقاً أن تزيد من علمها وتعلم بنات جنسها تستطيع أن تنمي المواهب التي يمكن أن تمتلكها، وتحقق بها نجاحاً كبيراً كما في الأعمال النسائية الفنية اليدوية.

فإنجاز المرأة لا يكون في الشارع أو الأعمال التجارية أو الميدانية الشاقة. فطاقتها تتحمل نوعاً معيناً من الأعمال والنساء الآن حتى المدرسات والطبيبات

---

1 - المرأة وكيد الأعداء ص24.

يشتكين اشتياقهن للبيت والأطفال.. فما بالنا باللاتي وصلن لميكانيكا السيارات وتنظيف المصانع من مهدرات الكرامة.. تقول (صوفيا لورين): قد تتحدث بعض النساء عن أسعد أوقات حياتهن بطريقة أو بأخرى، وغالباً، ما يذكرن سن الثامنة عشرة، أو الثانية والعشرين، أما بالنسبة لي فهو سن الرابعة والثلاثين حين أنجبت ولدي الأول، وسن الثامنة والثلاثين حين أنجبت طفلي الثاني.

فالسعادة الكبرى بتحقيق المرأة ذاتها عن طريق بناء المجتمع الصالح وتخريج الإنسان الصالح.

والأمومة والأبوة ليست أدواراً يمكن إهمالها أو إلغاؤها.. فلذلك نكون قد عطلنا أركان الأسرة، وبذلك يتبعثر أفرادها.. وتزاح لبنة من البنيان فيضعف بعض لبناته.. وبانهدامه سيبقى المجتمع مهدما، ولن يرقى أو يتقدم خطوة واحدة.

إن الحفاظ على كيان الأسرة المتماسكة الجدران.. القوية في أساسها يحقق التطور الإنساني والرقي الحضاري.

فهل في دور المرأة الطبيعي ظلم لها؟ وهل حقق بتمردها عنه ذاتها؟ إن المرأة في البلدان الأوربية أصبحت فريسة للأمراض العقلية والقلبية والنفسية.. فكانت النتيجة كثرة اللقطاء في المجتمع، وانهيار كيان الأسرة كما انتشرت الأمراض والعقوبات التي تحل بهم كل فترة وأخرى.

وأصبحت هذه المجتمعات تستحسن وتبيح الشذوذ الجنسي المنتشر فيها وغيرها من البوادر التي تفيد بأن هذا المجتمع الغربي امتلأت رئتاه بما يمنع التنفس.. وقارب قلبه عن التوقف عن النبض وماذا بعد؟؟

ماذا يريدون من المرأة؟ ماذا قدموا لها؟

إن مجتمع الشذوذ بعد أن انتشرت فيه الفاحشة وتشعبت، ظهرت فيه منكرات وظواهر لم يعهدها مجتمع من قبل إلا أنزلت عليه الصواعق فأنهته.. ومن هذه الظواهر التي يطالبون بها في مؤتمراتهم الحديثة للمرأة.. بنشرها والترويج لها: الأشكال المتعددة للأسرة!!

والمقصود بذلك إباحة الشذوذ والاعتراف به على شكل أسر تتكون من رجلين أو امرأتين وإن احتاجوا للأطفال يمكنهم التبني!! أي يتحول المجتمع لسلة قمامة تحمل أشكالاً متنوعة من القاذورات إن كل هذه الأشكال والعلاقات يرفضها ديننا رفضاً تاماً وترفضها جميع الديانات الصحيحة وتأباها الأخلاق.. فإلى أين المصير بكل هذه المطالب؟ أليس إلى الهلاك والبوار، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة؟.

الشبهة السابعة: تعدد الزوجات

حاول البعض ومن بينهم أصحاب الدسائس التأكيد على أن تعدد الزوجات هو أمر سلبي على المرأة، وهذا من شأنه أن يحط من مكانتها وبعيد عن مساواتها بالرجل.

نقول لهم: بأن تعدد الزوجات كان أمراً شائعاً في الجاهلية، فالزواج كان مباحاً إلى غير عدد محدد، كذلك التوراة جاءت فيها الإباحة لغير عدد محدد، ولذلك فإننا نعتقد بأن تعدد الزوجات كان أحد الأمور التي واجهها الإسلام بتشريع متدرج تحوطه مجموعة من الشروط تجعل إباحته في النهاية حالة استثنائية أو ضرورة لها مبرراتها وضماناتها في الوقت نفسه.

وعليه كما تقول الدكتورة زينب رضوان: إذا قرأنا النصوص القرآنية نجد فيها أن تلقين الاقتصاء على زوجة واحدة هي الأقوى وأن إباحة التعدد ما هو إلا مخرج لحالات وضرورات استثنائية تستوجبها.

وتقول: ولنسترجع معاً ما يتطلبه الإسلام لإنشاء العلاقة الزوجية ابتدأ ليتضح لنا موقفه من التعدد حيث نجد أنه يشترط بالنسبة للزواج عدة أمور منها:

1- الباءة: وهي القدرة على تحمل أعباء الحياة الأسرية بجميع أبعادها المادية والنفسية والتربوية، وفي حال التعدد يكون الزوج مطالباً بتوفير المال لأسرتين أو أكثر.

2- **الإحصان:** بمعنى أن يتحقق لصاحبه الإحصان، وإذا نظرنا إلى هذا الهدف سنجده متنفياً، أما إذا كان الرجل يسعى من وراء زواجه بأخرى إلى مجرد إشباع شهوة فهذا مالا يقره الإسلام.

3- **انجاب الذرية:** وذلك بأن يكون أحد الأهداف من الإقدام على الزواج هو إنجاب الذرية داخل إطار أسري محدد.

4- **حق الزوجة في الطلاق:** إن الرابطة التي تجمع بين الزوجين يجب أن تكون في إطار من المودة والرحمة بهدف تحقيق السكينة لكل من الزوجين، أما إذا تعرضت الحياة الزوجية باتجاه غير الاستقرار والمودة والرحمة بحيث ينتفي الهدف من تكون الأسرة، فإن الطلاق يصبح ضرورة لازمة لتحقيق الاستقرار لكل منهما بعيد عن الآخر[1].

الشبهة الثامنة: شهادة المرأة

اتهم البعض بأن شهادة المرأة هي نصف شهادة الرجل وهذا غبن لها، وحط من قيمتها ومنزلتها.

نرد عليه ونقول: إن سبب تقديم الرجال هنا يرجع إلى أن الرجال في ذلك الوقت كانوا هم الذين يزاولون الأعمال التجارية ووثائق الديون وغيرها من سائر المعاملات المالية، إنما تقسم في مجامع الرجال الذين هم أصحاب النشاط الأوفر، ونادراً ما يتاح للمرأة أن تشهد هذه المجالس، وعليه تكون قدرة الرجل على الإتمام بكل جزئيات هذا المجال أكبر من المرأة- ومن هنا جاءت شهادة الرجل ضعف شهادة المرأة.

1 - المرأة بين الموروث والتحديث.



الفصل الرابع

المرأة وظاهرة الطلاق

نتناول في هذا الفصل ظاهرة الطلاق من خلال التراث المتوفر من حيث ماهيته تاريخيا في المجتمعات القديمة وفي الديانات السماوية في إيجاز، ومن حيث التفريق في المواقف النظرية التي عالجت الطلاق كنظام اجتماعي وظاهرة اهتمت العلوم الاجتماعية بمعالجتها قديماً وفي المجتمعات المعاصرة كعنصر من عناصر مسألة المرأة في المجتمع.

ولتحقيق هذا الغرض نحاول كذلك التطرق لمسألة الوضع الاجتماعي للمرأة باعتبارها العنصر الأكثر تضررا عند وقوع الطلاق؛ خاصة إذا كانت أكثر فقراً من الزوج، وإذا كانت غير متعلمة، وأقل منه استعداداً للدفاع عن نفسها[1].

ولعل ندرة البحوث والدراسات الواقعية عن المجتمع العربي تجعل من الضروري علمياً وضع الدراسات المتعلقة بالطلاق والمرأة العربية عموماً في الاعتبار والإفادة منها في الفهم النوعي لموضوع هذه القضية وأبعادها في الدول العربية خاصة منها النفطية.

لماذا يقع الطلاق بين الأزواج؟ السؤال ليس بالسذاجة التي يبدو بها أول وهلة، والإجابة ليست بقدر وضوح السؤال. من ناحية فالطلاق، مثل الزواج حدث حياتي متفرد في طبيعته يؤثر في الأفراد الذين يقع بينهم أو عليهم فقط، ومن ناحية أخرى فالطلاق حدث اجتماعي يتعلق بالمحيط الاجتماعي والظروف الاجتماعية التي أفرزته، مثلاً عندما يقرر رجل وامرأة أن يتزوجا ويعيشا سويا فإن قرارهما هذا يتأثر بدرجة كبيرة بالمجتمع الذي يعيشان فيه، خاصة إن ذلك المجتمع يضفي على زواجهما اعترافا علائقيا وثقافيا من خلال إشهاره الشرعي أو القانوني، ومن خلال العادات والتقاليد (وفي أحيان أخرى الطقوس) المرتبطة باستكمال إجراءاته، ثم من خلال توثيقه الرسمي واعتماد الحالة الزواجية التي يدخلها الشخصان كحلقة في دورة الحياة يمارسانها كأفراد في المجتمع.

---

1 - فاطمة المرنيسي، 1982، ص181.

إذاً الطلاق ظاهرة عاشتها المجتمعات القديمة وتعيشها مجتمعاتنا المعاصرة من حيث أنها نقض لاتفاق بين طرفين عند بدء حياتهما الزواجية، ومن حيث أنه (..عملية هدم لبناء أسرة، وقد يأتي هذا الهدم عند بداية الطريق، وعند وضع أول اللبنات في الأسرة، وقد يأتي متأخراً بعد أن يكون البناء قد تفرع..)[1].

ويضيف أن هذه العملية منظمة في الإسلام ويخلص إلى أن الطلاق (ضرورة اجتماعية تحتمها الفطرة البشرية ويقتضيها الإصلاح الاجتماعي)[2]،يقول زهير حطب 1980 ، 112(عرف الطلاق على نطاق واسع ومارسه الفقراء أكثر من الأغنياء.. بوسع الرجل الغني أن يضيف زوجة جديدة) بينما الفقير لا يستطيع تحمل أعباء فم إضافي لذلك يلجأ إلى الطلاق حتى يسهل عليه الزواج مرة أخرى، لكن علياء شكري (1981: 231) ترى أن شيوع الطلاق في الكثير من المجتمعات يعبر عن درجة من الصراع بين الزوجين وتحطيم الروابط التي وجدت في يوم ما، ويؤدي بالتالي إلى وجود الكثير من المشكلات الخطيرة لكل من طرفي الطلاق والآخرين من الأبناء والأقارب الذين يعنيهم هذا الطلاق.

لذا يمكننا التأكيد على أن الطلاق يعتبر أحد المؤشرات الهامة في عمليات التغيير الاجتماعي، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن التغير الاجتماعي- الاقتصادي السريع الذي تمر به بعض من الدول النامية من حيث زيادة الاستثمارات يضع على الأسرة في معظم المجتمعات ضغوطاً شتى في تركيبتها التقليدية وفي سبل كسب العيش والعمل ونوعية السكن، وحتى للقيم والعادات والتقاليد ومدى فعاليتها لما يحدث من تغيرات من حياة ريفية بسيطة الى حياة حضرية معقدة، إن الطلاق في هذه الحالة يشبه قياس ضغط الهواء الخارجي من حيث انه يسجل التغيرات في الأحوال والأوضاع الاجتماعية- الاقتصادية.

وبالرغم من أن الطلاق يقع لعدد قليل نسبياً من المتزوجين في المجتمع (بمعدل واحد وثمانية من عشرة بين كل ألف من سكان دول العالم إلا أنه يعكس بعضاً

---

1 - عبد الرحمن عبد الخالق، 1979، ص94.

2 - عبد الخلق، 1979، ص97، يقول زهير حطب 1980، 112.

مـن ملامـح طبيعـة بنـاء الأسـرة وعـن الـكيفيـة الـتي بواسـطتها تتـكيـف الأسـرة مـع الظـروف المـستجدة والمـتغيرة، ويعكس بعـض الملامـح عـن تلـك الفئـات والطبقـات الاجتماعية الأكثر تعرضاً للضغوط التي تحدثها عمليات التغير الاجتماعي.

ويعكـس بعـض سمـات الـتغير مـن الأدوار التقليديـة إلى الأدوار الجديـدة المعاصرة التي يمكن أن يقوم بها أفراد الأسـرة الواحـدة، لـذا فـإن الطـلاق يعكـس شيئاً آخر عن كيف يتكيف المجتمع لظروف التحول الاقتصادي الاجتماعي الـتي يمـر بهـا. وللاسـتدلال علـى مـا تقـدم نـورد مـا قالتـه نـدليفاين (1982، 323) أن "الطلاق يعكس البيئة الاقتصادية المتغيرة والقيم الاجتماعية البديلة".

ثم أتت ببيانات عن تركيا فلاحظت من خلال تلك البيانات أن هنـاك تفاعـل بين أربعة عوامل اجتماعية تساعد على ارتفاع معدلات الطلاق أولها التغيرات في درجة العمر وثانيهما التغير في الأدوار الاجتماعية للنساء وثالثهما مدى القدرة المالية ورابعها توفر السكن المستقل لطرفي الطلاق عند وقوعه.

ولاحظـة نـدليفاين أن العامـل الأول والثـاني لهمـا أثـر علـى طـرفي الطـلاق مـن خلال التغييرات التي تحدثها عمليات التنمية مباشرة، أما القـدرة الماليـة فهـو أثـر غـير مباشـر لعمليـات التنميـة أمـا العامـل الرابـع فهـو متعلـق بـافتراق طـرفي الطـلاق، وهـو ضرورة وذات صلة بالحالـة الماليـة للطـرفين ولـه دلالاتـه الواضـحة علـى البنـاء الأسـري حيـث أن التبعـات الماليـة المترتبـة علـى الانفـصال ربمـا تكـون في حـد ذاتهـا عـاملا إلى جانب الأبناء في الحد من التوجه للطلاق.

أولاً- الطلاق قديماً وحديثاً:

عـرف الطـلاق في مجتمعـات اليونـان والرومـان القديمـة، حيـث كـان الرجـل يطلق زوجته[1]، وذكـر مفكـرو اليونـان تطرقـوا للطـلاق في بحـوثهم، وأن أفلاطـون وأرسطو اعتبرا الطلاق ظـاهرة تهـدد كيـان المجتمـع، وأن القبـائل الرومانيـة القديمـة كانت تعرفه، بل إن تشريعاتهم جعلته مطلقا بغير حدود[2].

1 - عبد الرحمن الصابوني، 1968، 27).

2 - مصطفى الخشاب، 1981، 236- 276.

أما بالنسبة للمجتمع العربي قبل ظهور الإسلام فيذكر عادل سركيس (بدون تاريخ: 87- 110) أن الطلاق كان معروفاً، وقد شاع في شبه الجزيرة العربية، وأنه "..كان للرجل حق طلب الطلاق بشرط أن يتوافر السبب وليس للزوجة أن تطلب الطلاق لأن ذلك لم يكن حقا لها أبداً". وفي ذلك يضيف زهير حطب (1980: 49) أنه ورد في ديوان الأعشى أن الطلاق بالثلاث كان معروفاً قبل الإسلام، وأن أبو الفرج الاصفهاني قدم وصفا للطريقة التي تطلق بها المرأة نفسها من زوجها حيث يكون طلاقها بيدها، على أن هذه القدرة كانت "..قاصرة على الزوجات اللواتي ينتمين إلى قبائل قوية أو منزلة رفيعة في قومهن[1]..." كذلك يلاحظ اهتمام الكتب السماوية بالطلاق وتنظيمه كظاهرة مجتمعية، وورد الكثير من القواعد والتشريعات التي تضبط وقوعه وإقراره، على أن جميع هذه الديانات ترغب عنه صوناً للحياة الزوجية وحرصاً على استمرارها.

مثال على ذلك الديانة اليهودية للرجل وحده حق الطلاق متى شاء، على أن مفكريهم كانوا يستهجنونه (عادل سركييس، بدون تاريخ: 99). أما عند الديانة المسيحية فيختلف تشريع الطلاق باختلاف مذهب الطرفين. فالمذهب الكاثوليكي (..يحرم الطلاق تحريماً قاطعاً ولا يبيح فصل الزوجين لأي سبب[2] "ويضيف محمد ضناوي (1980، 104) أن الكنيسة الكاثوليكية" ..تتشدد بأمر الطلاق وترفض إقراره وتستبدله بنظام الهجر أو الانفصال. أما مذهل البروتستانت فيبيح الطلاق في

1 - ونسترشد بما قال الشاعر/ الأعشى في السواء بنت الاعسر بن معاوية بن وائل بن هزان (وهي من النسوة اللاتي كان طلاقهن إليهن)

أيا جارتي بين فإنك طالقة	كذاك أمور الناس غاد وطارقة
وبيني حصان الفرج غير ذميمة	وموموقة فينا كذاك ووامقة
وذوقي فتى قوم فإني ذائق	فتاة أناس مثلما أنت ذائقة
لقد كان في فتيان قومك منكح	بشبان هزان الطوال الغرانقة

2 - مصطفى الخشاب، 1981، 237.

حالات محددة (الخشاب 1981، 237) بينما مذهب الأورثوذكس "... لا يبيح الطلاق إلا في أمور تؤدي إلى تعذر الحياة بين الطرفين" (الخشاب 1981، 277) يمكن القول إذن أن المذهبين الأخيرين أقل تشدداً من مذهب الكاثوليك في موقفهما في إقرار الطلاق حيث وافقا عليه كمبدأ أو ربطته بأسباب كما أقرت الهجر والفسخ والإبطال (محمد ضناوي 1980: على أن فاطمة المرنيسي (1982: 186) أوردت تلخيصاً للوضع في أوروبا عند دخولها طور التصنيع حيث تم سن مجموعة من الإجراءات القانونية لكي تحمي الأسرة وتفرض استقرارها المهدد بالضغوط الملازمة للمجتمع الصناعي، وهكذا أقيم الزواج الأحادي وجعلت علاقة الزواج غير قابلة للانفصال في القوانين المقدسة.. أو إذا حصل وتمكن (الكاثوليكي أو البرتستانتي) من ذلك فإن الإجراءات تكلف كثيراً وتستغرق وقتاً طويلاً.

أما في الدين الإسلامي فقد أباح الله سبحانه وتعالى إنها الحياة الزوجية في حال تعذر استمرارها ووصفه الله بأنه أبغض الحلال. وقد جعل الطلاق ثلاث مرات[1] كي يراجع كل من الزوجين موقفه، عسى أن تعاد الرابطة بينهما. وقد جعل الطلاق في يد الزوج إلا أنه يجوز للمرأة، من حيث القواعد الشرعية عند عقد الزواج أن نفوض الزوجة في طلاق نفسها بنفسها عندما ترغب في ذلك، وهذا ما يسمى بأن العصمة في يد الزوجة، على أن التلفظ بالطلاق ثلاث مرات في وقت واحد يعتبر مرة واحدة، وهذا من الحرص على حفظ النظام الأسري.

---

1 - الطلاق: قد يقع الطلاق بعد العقد بفترة قد تطور وقد تقصر فإذا طلق الزوج زوجته مرة أو مرتين فلا تعود له إلا بعقد جديد وعندئذ يتبقى المرة الثالثة، والتي لا تعود إليه حتى تتزوج زوجا آخر ثم يتم الطلاق بينهما بشرط ألا يكون متفقاً عليه مسبقاً أما إذا تم الطلاق بعد الزواج فيجوز للزوجة أن تعود لزوجها بعد طلاقها للمرة الأولى والمرة الثانية بشرط عدم انتهاء المدة المقررة. وفي هذه تبقى المرة الثالثة والتي لا تعود إليه إلا بعد أن تتزوج زوجا آخر.

ثانياً-مواقف نظرية حول الطلاق ومسألة المرأة:

أ- مسألة المرأة:

مصطلح "مسألة المرأة"[1] محوره وضعها في التكوين الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع وطبقاته المتميزة، والوسيطة والدنيا وفي وضعها من وجهه نظر القيم والتقاليد والفكر الاجتماعي السائد، يشير عبد الباسط عبد المعطي (1981: 751) أن معظم ما كتب وما يكتب حول قضايا المرأة، لم تستند غلى دراسات موضوعية تصف أوضاع المرأ وتفسرها تفسيراً حقيقياً.

وفي تصنيفه لما يكتب حول قضايا المرأة العربية يلاحظ أن ما يطرح خلاله من أفكار يناقش التحرر الاقتصادي للمرأة، واشتغالها وضرورة استقلالها عن الرجل. وأن الأسئلة التي تطرح محورها ماذا تريد المرأة العربية؟ وماذا تريد من الرجل؟ وماذا عليها أن تعمل؟ وهل القضية قضية رجال أم نساء؟ أم قضية مجتمعية؟ يكشف التراث الأكاديمي والسياسي للإجابة على هذه الأسئلة أن الباحثين اتخذوا عدة مواقف، ربما متخالفة ومتناقض في بعض الأحيان، لاحظنا تباعداً بين تفسير ديني أصولي أو سلفي وتفسير بايولوجي أو طبيعي، وتفسير ثالث سيكولوجي أو نفسي من جانب وبين تفسير جزئي يركز على أبعاد أو علاقات بعينها (مثال على ذلك عندما قمنا بوصف وتحليل ظاهرة الطلاق ومحاولة ربطها بالعناصر البنائية في الواقع الاجتماعي السعودي) وطائفة ثالثة تأخذ بالتفسير الكلي أو الذي يحاول رد القضايا المطروحة في مسألة المرأة إلى أصول تاريخية اجتماعية، على أن أهمية مثل

---

1 - المرأة: يسترشد تركي الربيعو بـ/روجيه جارودي عند طرح القضية في إطار الذكورية الأنثوية ويقول: إذا كان الفارق بين المرأة والرجل ليس فارقاً يستند إلى ثقافة وتاريخ ذكوريين.. أي علم نظمه رجل للرجال وطوره بلا تبصر.. وهذا يخدم تطلعات الرجل في ملكية الأرض والنساء والعبيد والثروة والقيادة والذي كرسه من خلال قواني ومؤسسات راسخة وسائدة إلى يومنا هذا... وهنا تكمن أهمية الحركة النسوية في تصحيح الانحراف التاريخي لثقافة ذكورية عمرها أكثر من ستة آلاف عام وجدت من خلال مؤسسات وطبائع بررت الاضطهاد ودافعت عنه... وعالما داخلياً منزلياً وانثوياً حيث تسوده الخدمية.

هذه المواقف التفسيرية تزداد عند استخدامها أو توظيفها وعند ما تبرز على مستوى الممارسة، مترتبات سياسية أو أيديولوجية معينة، ولعل ذلك التوظيف وما يواجهه من مصاعب في التطبيق أفضى إلى فئة من التقسيمات طرحت من خلالها مسألة المرأة في إطار سياسي، لاحظنا أن سعد الدين إبراهيم (1985: 52- 83) تبنى تقسيماً يفرق فيه بين ما أسماه بمواقف السلفيين، و"الليبراليين"[1] والقوميين الاشتراكيين حول المسألة الاجتماعية ووضع المرأة الاجتماعي.

إن تلخيص مواقف هذه الجماعات يبين أولاً: أن السلفيين (ويمثلهم سيد قطب حسب تقدير إبراهيم سعد الدين) يرون أن الرجل والمرأة يتساويان من الناحية الدينية والروحية والاقتصادية ويختلفان في التفريعات العملية مثل الميراث والشهادة أمام القضاء، ومرد ذلك في نظرهم اختلاف التبعات والاستعدادات التي يطلع بها الرجل في الحياة مثل القوامة والإنفاق على المنزل ودفع الديون والديات والتعويضات، كما يرون أن المرأة بطبيعة وظائف الأمومة، ينمو في نفسها الجانب العاطفي والانفعالي بقدر ما ينمو في نفس الرجل، الجانب التأملي التفكيري وهو سبب جعل من شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد، يضيف سعد الدين إبراهيم (1985: 53) إن السلفيين يرون حق الرعاية في الأسرة أفضل من العمل، إذا لم تكن هناك حاجة، على أن لهذه النظرة "الدينية السلفية" لوضع المرأة العربية ما يقابل فحواها ومضمونها في توجيه العام، وإن اختلفت التفاصيل في دراسات ومجهودات "علمية" تتحدث عن مجتمعات في ثقافات غير عربية، ويمكن وصفها بأنها نظرة محافظة من

---

1 - الليبرالية: يطلق مصطلح ليبرالية على التيار الفكري الذي يؤمن بالحرية الفردية في مجالات الحياة المختلفة من اقتصاد وسياسة، ويعود أصله اللغوي إلى اشتقاق لاتيني لكلمة بنفس المعنى كانت تطلق على المهن الحرة التي لا تخضع لسلطة منظمة ويتلخص هذا التحرر على العناصر التالية:

1- ليس للدولة أي حق في التدخل للحد من حرية الأفراد.

2- ضرورة توافر أكبر قدر من الحرية الفردية للفرد حيث أنه العنصر الأساسي في البناء الاقتصادي، وواجب الدولة حماية حرياته وضمانها.

3- ضرورة المنافسة الحرة بين الاقتصاديين لتحقيق التوازن في النظام الاقتصادي (العربي، العدد 321).

حيث طرحها لوضع المرأة ومن حيث دلالاتها التوظيفية، يذكر محمد عبده محجوب (1985: 193- 194):

"لقد ظلت المرأة في أثينا وروما القديمة تعتبر مخلوقاً أدنى درجة من الرجل بصورة جوهرية طوال حياتها، ولم تكن المرأة في أوروبا في العصور الوسطى تستطيع أن تمتلك، وكانت تتزوج في معظم الأحيان ضد رغبتها، ولم تكن تستطيع الطلاق من زوجها.. وقد بين القانون العام في انجلترا وأمريكا في القرنين الثامن والتاسع عشر، كيف تساق المرأة إلى السجن كالمجرمين وتفقد معظم حقوقها المدنية، مع أنها لا تستطيع أن توقع أوراقها أو تسمع شهادتها في المحكمة كما لا يسمح لها بالتصرف في ممتلكاتها، إذا كانت لها ممتلكات، ولم يكن يسمح لها بحيازة مكتسباتها أو مكتسبات أبنائها إذا رأى زوجها أخذها منها".

يرد مثل هذا الوصف الدقيق ليبين أن بعض الباحثين خرجوا بموقفين نظريين، أولهما، يعتمد على أن الذكور بصفة عامة أقوى من الإناث، ثانيهما يقوم على الشعور بأن النساء أكثر التصاقاً بالطبيعة من الرجال. من هاتين النظرتين يرى بعض الباحثين ابتداءً فرض الرجال سلطانهم على النساء، لأن قوتهم البدنية كانت ضرورية للبقاء في المجتمعات الأولى، ويذهب القائلون بهذه النظرة المتطرفة للتدليل من ذلك بأن الرجال احتلوا قيمة أكثر، فهم يجرون أسرع من النساء ويقومون بالدفاع وصد هجمات الحيوانات المفترسة والغارات البشرية، بالإضافة إلى ما يحدث للنساء من معوقات فيسيولوجية" تزداد في أوقات معينة.

يخلص القائلون بهذا التبرير التخميني، أن مثل هذه القيم البايولوجية جعلت النساء يعتمدن على الرجال في كسب الطعام وتوفير الحماية، يتفرع من هذه النظرية ذات الثلاث جوانب (السلفي والبايولوجي والنفسي) مواقف منها ما عرف بدونية

المرأة (عبد الهادي خلف، 1981 : 704) أو الطبيعة الثانية للمرأة[1] (محمد الرميحي، 1985 : 16)، وموقف ثالث ينظر إلى المرأة كأقلية ويقابل بين الانثوية والذكورية باعتبار فوارق النوع هي محور مسألة المرأة (عاطف عبيد 1983 :54) ففي عرض مقولة دونية المرأة في الوطن العربي يقول عاطف عبيد (1983 :54) إن التمييز ضد المرأة ملموس منذ لحظة مجيئها للحياة، حيث أن تفضيل إنجاب الذكور على الإناث إحدى القيم التي مازالت قائمة في المجتمع العربي حتى الآن بغض النظر عن نوعيته- حضري أو ريفي- أو مكانة المرأة ودرجة تعليمها.. حيث كان العربي قبل الإسلام إذا ولدت له أنثى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (سورة النحل، الآيات 58- 59). ونرى أن هذه المسألة ليست عند كل القبائل العربية بل تقتصر عند القبائل الضعيفة خوفاً من السبي أيام النزاعات والغزوات فيما بينهم، ولذا جاء ذكر هذا في القرآن الكريم في سورة النحل آية رقم 58- 59، ويورد محمد الرميحي (1985 : 15- 16) في نفس السياق. إن المرأة في المجتمعات البدائية اعتبرت شر بطبيعتها لأنها مختلفة

---

1 - المرأة: يقول محمد الرميحي في إطار اجتماعي- لغوي للمرأة نقلاً عن خليل أحمد خليل، إن كلمة امرأة في اللغة مشتقة من فعل (مرأ) أي طعم، وهنا توجهنا صلة المرأة بالطعام ويقال مرأ فلان أي صار كالمرأة هيئة وحديثاً. وتجمع المرأة على غير اشتقاقها فيقال نساء ونسوة. وتعرف المرأة بأنها مؤنث الرجل والنساء تعنى (المناكح) وهنا تواجهنا صلة المرأة بالتزاوج وإذا تناولنا أصل النساء وجدناه مشتقا من فعل نسى، ينسو، ويعني ترك العمل وكأن المراة تعني البطالة وترتبط المرأة بعدة أعمال رئيسية منها فعل (حرم) ويعني منع والحرم هي النساء لرجل واحد والحريم تعني النساءات أي ما حرم ولم يلمس حتى كلمة حرامي مشتقة من هذا الفعل ويعني فاعل الحرام، ويضيف إن اللغة في ظواهر تفسيراتها تقدم لنا المرأة على أنها وسيلة إشباع متعدد الأغراض فهي أقرب إلى الشيء منها إلى الإنسان، على أنه يستدرك ليقول أن هذه النظرة تبدو متطرفة ومتحاملة على معاني اللغة لكن فيها ما يلفت النظر.

بايولوجياً عن الرجل، فهي مدنسة ينبغي أن تنبذ، وانتقلت هذه الأفكار عبر الأجيال والعادات والتقاليد حتى كادت أن تصبح طبيعة ثانية للمرأة بجانب طبيعتها الإنسانية.. ونظر إليها المجتمع العربي أيضاً تلك النظرة التقليدية القاصرة، فالقوانين في الأقطار العربية تؤكد على دور المرأة كأم وعضو في الأسرة لا ككيان قائمة بذاته له حقوق وعليه واجبات سياسية واقتصادية ولذا نرى أن المرأة مهمشة. ويقول خضر زكريا (1983: 55) أنه توجد أنظمة اجتماعية خلال مراحل معينة من التاريخ.. خلقت الوضع الدوني للمرأة وكرست اضطهادها من قبل المجتمع الذي لعب الرجل فيه الدور الأساسي في الإنتاج والسلطة والسياسة.. ويضيف أيضاً "أن الوضع الخاص للمرأة وموقعها في السلم الاجتماعي ليس ناشئاً عن أسباب جنسية بايولوجية ولا عن عادات ولا تقاليد وإنما عن أنظمة اجتماعية- اقتصادية معينة.." إذن يتضح من هذا الاستعراض المقتضب أن الاختلاف كبير بين طروحات القائلين بالتفسير البايولوجي والنفسي والذي تتفرع عنه مقولات الدونية أو الطبيعة الثانية أو الأنثوية مقابل الذكورية، ومن يعارضهم فيرجع التفسير إلى موقع المرأة الطبقي وعلاقتها بالملكية والسلطة وموقعها في التقسيم الاجتماعي للعمل.

فمثلاً يقول حامد عمار في (عبد الهادي خلف 1981: 742) "إن وصف وضع المرأة مع وضع الأقليات الأخرى هو تجريد وتسطيح لقضية المرأة في الوطن العربي ومن الضروري تحديد خصوصيات وضعها في السياق الاجتماعي المحدد بأبعاده المميزة، والالتفات إلى ربط دور المرأة بقضية تقسيم العمل. وهذا التقسيم التقليدي يفصل ما بين الرجل والمرأة فالأول يولد الدخل عن طريق الإنتاج والثاني يعيد الإنتاج إن هذا التحليل يمثل موقفاً موضوعياً له أهميته في فهم عمليات التطوير والتغيير".

ونرى في هذا الجدل الذي يعكس منطلقات متباينة أن القول بالدونية استناداً إلى عوامل أيديولوجية أو وجدانية موقف غير موضوعي وغير متسق منطقياً. على أن تأثير العادات والتقاليد في صوغ وعي المرأة بهذا الوضع الدوني والسعي لتغييره يمكن النظر إليه كشكل من بين الأشكال التي يمكن أن ينعكس فيها واقع العلاقات الاجتماعية الأشمل. إذا يمكن القول بأن التراث المتوفر ينفي، من

منطلق الجدل العقلاني، استقامة القول بدونية المرأة، مثلاً يقول خضر زكريا (1983 : 56) إن الدراسات الأنثروبولجية أثبتت أن النساء في عصر الجماعية القبلية كن مساويات للرجال، وأن الرجال يعترفون بتلك المساواة وكان مجتمعاً لا يعرف الاضطهاد والاستغلال. يؤكد الأنثروبولوجي محمد عبده محجوب (1985- 197) هذه النظرة التاريخية بقوله: نجد هناك تناقضاً ملحوظاً بين مقولة التفوق التي تقرر للرجال بناء على قوتهم الفيزيقية.. وما فرضه الرجال من أعمال على النساء.. وعلى الرغم من نظره الرجال إلى الإناث على أنهن يكون الجنس الأدني لافتقارهن إلى القوة الفيزيقية، فقد فرضوا عليهن وهن الجنس الأضعف أعمالاً شاقة فقد عملن بجر العربات في موسكو وحرثن الأرض في بلغاريا وحملت أحمالاً ثقيلة في أندونيسيا وأسبانيا.. تلك الاختلافات التي تبدو بين الرجل والمرأة لا ترجع إلى تكوينها الفسيولوجي بقدر ما ترجع إلى ما يحيط بها من ثقافة أورثتها لها التنشئة الاجتماعية. يضيف عادل حسين (في عبد الهادي خلف 1981: 39) الأمر وضوحاً حين يربط بين التقسيم الاجتماعي للعمل والظروف الموضوعية لقضايا المرأة وفي نفس الوقت يضيف إلى التراث الذي يفند دونية المرأة لضعفها البدني يقول عادل حسين: "..إن وضع المرأة يتمفصل بمنطق وكفاءة مع العلاقات الاجتماعية.. وغن التفسير الأساسي لوضع المرأة يكمن في نوع تقسيم العمل.. وإن تقسيم العمل التقليدي (في الأقطار العربية قبل النفط كان يعطي المرأة وظيفة تربية الأبناء وتنشئتهم. وفي الوضع النفطي هجرت المرأة تلك الوظيفة.." ونضيف "إن المرأة قبل النفط كانت تقوم بأعمال أكثر من الأعمال التي تقوم بها بعد النفط، وفي إطار تكوين الدولة برزت ممارسات أساءت إلى المرأة منها عدم تكافؤ الفرص بين الرجال والنساء، وقوانين وتعميمات تحد من نشاط نصف المجتمع محتجة بالعادات مرة وبالتقاليد تارة أخرى وفي أحياناً كثيرة بالدين (والدين منهم براء).

عرضنا فيما تقدم الإطار الأشمل لقضايا المرأة، والمواقف النظرية التي حاولت تفسيرها، ولعنا بينا أنه من العبث طرح قضية المرأة كمشكلة خاصة بالنساء، بل إنها مشكلة مجتمع بأسره وإن اتخذت في بعض طروحاتها مقابلة

الانثوية بالذكورية، يتضح من التراث المتوفر إن الكتاب العرب تناولوا كذلك حقوق المرأة، فبعضهم انحاز إلى المرسات الغربية الليبرالية فقالوا أن من مطالب المرأة المساواة المدنية والتعليم والحقوق السياسية. وفي رأينا أنه لا يجوز لهذه المطالب أن تستقيم بمعزل عن المطالبة بحقوق الرجل إذاً فالقضية مجتمعية وشاملة وتتطلب فهماً واضحاً لتراكاتها الحضارية والثقافية. ومن الكتاب العرب من اتجهة إلى التراث العربي يريد أن يدلل على مقولاته، الأصولية غالباً سلباً أو إيجاباً، وفئة أخرى رأت أن تتناول الإنسان العربي وضعه الاجتماعي الأشمل وقالت: حيثما وجد تخلف اجتماعي واقتصادي وقهر واستغلال فإن مصاب المرأة سيكون أفدح وأكبر من مصاب الرجل بكثير.

الطلاق ومسألة المرأة:

الطلاق كعنصر من مسألة المرأة رغم أنه حالة اجتماعية تحدث في كل المجتمعات إلا أنه في المجتمع العربي السعودي يستمد ملامحه من تركيبة اجتماعية ذات طابع خاص جداً كالزواج فيه، حيث يقع الطلاق في غالب الأحوال بين الزوجين بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة وتنوع نفقاتها من جهة السكن والملبس والحلي واختلاف الدخول والإغراق في الكميات دون مراعاة الوضع المادي للأسرة مما يسبب الكثير من الخلافات والتي قد تقود في غالب الأحيان إلى وقوع الطلاق.. وإكراه الفتاة على من لا ترغب لاسيما في القرى والبوادي لقرابة أو صداقة أو ثراء مما يولد بعضاً من لامشاكل ومن ثم وقوع الطلاق.. والطلاق ظاهرة تدعو إلى التساؤل خاصة إذا كانت في مجتمع مسلم ووصلت إلى نسبة مئوية عالية..، وفي (حليم بركات 1985: 215) لقد كان الطلاق حقاً من حقوق الرجل لأن المرأة تحكمها العاطفة، وحين مكنت المرأة من الطلاق في الغرب أصبح يحدث لأتفه الأسباب.. ويضيف بركات على أن الطلاق بقى في المجتمع العربي امتيازاً للرجل حليم بركات (1985: 214) وأورد إحسان الحسن (1981: 18) إن الطلاق يشير إلى تحطيم الحياة الزواجية وفسخ عقدة من قبل شخصين متزوجين لأسباب

اجتماعية وحضارية ونفسية تتعلق بهما.. وفي رد مسألة الطلاق في بعدها الاقتصادي الاجتماعي الواقع في المجتمع بدأنا نلاحظ أن ظاهرة الطلاق أصبحت ملموسة بسبب التغير الاقتصادي الذي طرأ على المجتمع والذي أدى إلى نوع من الرخاء بين بعض فئاته مما أدى إلى تعدد الزوجات وهذا الاتجاه أدى إلى بروز ظاهرة الطلاق بشكل ملحوظ وبدأت تشكل خطراً على المجتمعات العربية وخاصة مجتمعات الجزيرة ومن ثم انتشار ظاهرة انحراف الأحداث وهذا يؤدي إلى خلل في الارتباط الأسري ويورد حامد عمار في (عبد الهادي خلف 1981 : 742) أنه نتيجة حدوث للتحولات في عمليات التحديث.. وتأثر.. المرأة والأسرة بها في المجتمعات العربية عامة ومجتمعات الجزيرة العربية (السعودية وما جاورها) على وجه الخصوص لوحظ ازدياد في معدلات الطلاق، فقد بلغت هذه الظاهرة في بعض مجتمعات الخليج حدا كبيراً مما يؤثر في حياة المرأة والتربية السليمة للأبناء.

ويتضح من هذا الاستعراض أن الاختلاف كبير بين القائلين بالتفسير الديني والاجتماعي والثقافي والنفسي والتغير الاقتصادية والتحولات الحادثة في عمليات التحديث وتأثر المرأة بها والانفتاح على المجتمعات الأجنبية وهناك من يعارض هذه الأسباب ويرجعها إلى أسباب أخرى مثلاً تقول فاطمة المرنيسي (1982 : 189) إن الطلاق شائع في المدينة والبادية على السواء وغير مرتبط البتة بالتمدن ويبدو أن للطلاق أسباباً أخرى أكثر تعقيداً من التمدن ويصعب مهاجمة التحديث وتحميله مسؤولية كل أمراضنا ويجب البحث عن أسباب أخرى، يجب علينا الإنكباب على عاداتنا وممارساتنا وتراثنا الثقافي التقليدي نرفض المظاهر التي غدت باعثة على التهديم ونحتفظ بما هو مفيد ونعززه.. وهذا يقودنا إلى أن هناك زيادة ملحظة في تكرار حالات الطلاق في كل المجتمعات ومثل هذه الزيادة ترجع إلى عوامل كثيرة مثل العوامل البيئية والحضارية والاجتماعية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والعادات والتقاليد والتراث الثقافي والممارسات، كل هذه تقود عدداً غير قليل من الناس المتزوجين إلى إنهاء حياتهم الزواجية عن طريق الطلاق.

وحول ما إذا كان حل عقد الزواج مشترك فيما بين طرفي الزواج يقول الشيخ صبحي الصالح (1980: 31- 32) إن إرادة المرأة تدخل في حل عقد الزواج فالإسلام من الناحية المبدئية لا يبيح حل عقد الزواج بالطلاق أو بالتفريق إلا بشروط محددة وعند الضرورة القصوى، وأن المرأة تستطيع هي أيضاً أن تحل عقد الزواج حين تشاء إذا اشترطت في العقد أن تكون العصمة بيدها وبالتراضي مع الزوج في نظام المخالعة وفي إبداء رغبتها بالتفريق إذا أقامت البينة تقصير الزوج في حقوقها أو حقوق البيت. "ثم يقول أن هذا ليس ذنب الشرع بل إن الرجل يعتقد أنه وحده ينفرد بحل عقد الزواج وهو الذي يسيء حق استعماله في الطلاق" وفي الواقع نجد الرجل يفعل هذا حسب العادات والتقاليد المتبعة في المجتمع العربي.

ثالثاً-مواقف نظرية حول الطلاق والأسرة:

تلعب العائلة دوراً سياسياً متعدد الأبعاد في المجتمع العربي، مما يسوغ اعتبارها وحدة سياسية علاوة على كونها مؤسسة اجتماعية فكثير من الناس من مختلف الثقافات والشعوب يبدون نفوراً عند سماع خبر بأن طلاقاً قد وقع ذلك لأن الطلاق تجربة يجب ألا تحدث ونجد الأسرة يعتريها شعور بالخجل والانكسار عندما يقع ابن أو بنت في تجربة الطلاق حتى إنهم وفي بعض الأحيان يحاولون التستر عليه أو حجبه عن الآخرين إما بعدم الحديث فيه أو بعدم نشر سيرته، ذلك لأن الأسرة ربما يعود هذا إلى كونها نظاماً جديراً بالولاء وبالتالي يجب المحافظة عليه كذلك الأسرة تعتبر مؤسسة اجتماعية لها شيء من القدسية، ويعني هذا أن الناس عند وقوع الطلاق في أسرة معينة إنها قد فشلت فيستهجنونها ويذمونها، فقد تعلمنا من الدراسات السوسيوانثروبولوجية أن في التاريخ الكثير من شعوب العالم التي اجتازت حقباً انتاجية تاريخية في تطورها نوع تقليدي في بنية العائلة يعرف بالعائلة (الباترياركية) ومن سماتها أناه تسلطية بمعنى أن الأدوار فيها مفصلة ومحددة وأن السلطة في العائلة تتمركز في يد الآباء دون الأبناء وفي يد الكبار دون الصغار وفي

يد الرجال دون النساء (المرنيسي 1982: 191) على أن بناء السلطة الباترياركية يبدو أكثر وضوحاً عندما يعيش أكثر من جيل واحد في عائلة واحدة.

يلاحظ الباحثون أن جيل الأبناء يدين بالطاعة لجيل الآباء وجيل الآباء للأجداد وأن للرجال سلطة على النساء في مختلف مستويات التقاليد والتعامل والسلوك الاجتماعي أن للعائلة الباترياركية مجموعة من المعايير الاجتماعية تميزها. أولها ان الولاء لكيان الأسرة أمر ضروري بمعنى أنه إذا حدث تضارب بين مصالح الفرد في مقابل مصلحة الأسرة فإن الوفاء بمقتضيات صيانة مصالح الأسرة يأتي أولاً خاصة وإن وحدة الموارد الاقتصادية للأسرة مجتمعة تشكل أساساً ضرورياً في بنائها الاجتماعي وفي تحديد ديناميات العلاقات في حدودها. وهنا يأتي المعيار الاجتماعي الثاني ومعناه أن التكافل داخل العائلة وبين أفرادها يشكل دعامة الضمان الاجتماعي والحماية والمنعة الاجتماعية للأفراد في حالات المرض وعند الشيخوخة وتقدم السن ويكتسب مبدأ أولوية مصالح العائلة بعداً اجتماعياً من خلال هذا التكافل إذ أن الفرد يجني ميّزات عدة من عضويته في العائلة في غياب أبنية بديلة، ومن خلال دراسات سوسيولوجيا الأسرة نلحظ أن نمط العائلة الباترياركية كما ضرورة اقتصادية- اجتماعية أملتها حياة البداوة والرعي وتعدد القبائل فأصبحت البنية التي من خلالها يعاد إنتاج الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في مختلف أشكالها، على أن النظرة السوسيولوجية لبنية العائلة البارتياركية فيما يخص حياة المدينة والحضر تختلف كثيراً حيث اتفق الكثير من الباحثين في سيوسيولوجيا الأسرة (شرقيون- غربيون) على أن البناء البارتياركي التسلطي يمكن اعتباره حاجزاً معيقاً للتغيير والتنمية الاقتصادية- الاجتماعية.

وانتقد الفكر الرأسمالي الغربي نظام العائلة الباترياركية واعتبروها معيقة للتنمية والتغير الاجتماعي لأنها تؤثر تأثيراً سلبياً في التفاعل بين العرض والطلب وفي تبادل السلع بالبيع والشراء، كذلك انتقدوا تنظيم العائلة الباترياركية من حيث انتاجيتها وإنها تفتقر للكفاءة عند مقارنتها بالإنتاج المصنعي المتميز بالعقلانية إلا أنه يعود ليؤكد بأن هذا التنظيم الأسري يشبه الملاذ للإشباع الوجداني والعاطفي بعيداً

عـن روح التنـافس والعقلانيـة لـكنـه تخلـى عـن هـذه المقولـة في القـرن التاسـع عـشر الميلادي والتي تبناها من قبل ثم عاد وطرحها طرحاً تساؤلياً من ناحيتين الأولى:

من حيث جدواها كوحدة للاستهلاك، والثانية من حيث جدواها كوحدة للتنشئة الاجتماعية، ففي الطرح الأول يقول ناقدوه، إن أفراد الأسرة الباترياركية يجمعـون دخـولهم ويـسخرونها لاسـتهلاكهم كجماعـة في مكـان واحـد وبـصورة تكافلية، وهذا يسبب زيادة في عدد الأشخاص العاطلين عن العمل وعند هذا يجب إعاشـتهم مـن دخـول الـذين يعملـون مـن أفـراد الأسـرة، فلـو كانـت الوحـدات الاستهلاكية صغيرة (أسرة نووية) فإن هذا لن يكون متاحاً للعاطلين، هذا الموقف يقودنا إلى الأخذ بأن هذه النظام لم يعد التنظيم الأكثر والأصلح عقلانية لتعظيم الإنتاج. أما الطرح الثاني فيقول ناقدوه إن بناء هذا التنظيم تعرض لغزو مؤثر من قبل جموع الأخصائيين الاجتماعيين في مجالات علم النفس ونمو الطفل وعلم التغذية إذ وفروا للمجتمع (من خلال برامج تعليمية وتوجيهية) طرق أفضل وأكثر عقلانية في تنـشئة الأطفـال وفي الإشـباع الوجـداني والعـاطفي الـذي كانـت تـوفره الأسـرة البترياركية ولكن بطرق أقل كفاءة.

أما موقف الفكر الاشتراكي من هذا النظام الأسري فإنه يستهجنه ولا يختلـف عـن موقـف الفكـر الرأسمـالي الغربـي في النقـد لبنيتهـا وتنظيمهـا، فالاشتراكيون ينظرون إليها على أنها تنظيم يفتقر إلى المساواة بين أفراده بمعنى أن النساء والأبناء يلعبون فيه أدوارا دونية، حتى مواقعهم فيما يتعلق بعلاقات الملكية في المجتمع دونية هي أيضاً. كذلك ينظرون إليها كتنظيم غير عقلاني على المستوى المجتمعي حيث يوفر هذا النظام مصدر إعاشة للعاطلين بها وبالتالي يزيد من الاحتياطي المعروض من قوة العمل وبالنتيجة يساعد على خفض أجور من هم في قوة العمل وينظرون إليها أيضاً كتنظيم غير عقلاني وذلك من خلال إعاشتها لغير العاملين من أفراد الأسرة القادرين على العمل في أنها تسبب ضغطاً على الاستخدام العقلاني الأمثل للموارد البشرية المتاحة في المجتمع. وأخيراً ينظرون لها كتنظيم يكرس الأيديولوجيا المحافظة لأنها من خلال إفراطها في حماية أفرادها تعمل على

الحد من مشاركتهم الشعبية وتقلل من مقدراتهم في بناء استقلال شخصياتهم وتقلل من مقدراتهم على التكيف مع الأوضاع والمواقف الاجتماعية الجديدة، ومن استعراضنا للمواقف النظرية حول الطلاق ومسألة المرأة التي حاولت تفسيرها.

يتضح أن الكتاب العرب تناولوا الطلاق، بعضهم رأى إن إرادة المرأة تدخل في حل الزواج، وفي رأينا كما بينا سابقاً أن قضية الطلاق قضية مجتمعية وتتطلب فهماً واضحاً لعواملها الاجتماعية –الاقتصادية والنفسية والحضارية والتي نتجت على إثرها الصراعات في المجتمع المعاصر نتيجة حدوث تحولات في العمليات التحديثية، وفريقاً آخر رأى أن المقولات الأصولية في مسألة الطلاق حق من حقوق الرجل، وفئة ثالثة تناولت المرأة في وضعها الاجتماعي وطالبتها أن تتخذ موقفاً حيال هذه المسألة باعتبارها العنصر الأكثر تضرراً وقهراً عند وقوع الطلاق في المجتمع، وبعد ذلك عرضنا لبعض المواقف النظرية حول الطلاق والأسرة من خلال بعض الدراسات السوسيولوجية من حيث اجتيازها حقباً إنتاجية وتاريخية في تطورها البنائي وبينا أن نمط العائلة الباترياركية كان ضرورة اقتصادية- اجتماعية أملتها حياة البداوة والرعي وتعدد القبائل حيث اتفق على ذلك الباحثين واعتبروه معيقاً للتغيير والتنمية الاقتصادية- الاجتماعية. وانتقد الفكر الرأسمالي في بداياته تنظيم العائلة البترياركية من حيث إنتاجيتها ووصفوها بأنها تفتقر إلى الكفاءة عند مقارنتها بالإنتاج المصنعي المتميز بالعقلانية، ولا يختلف موقف الفكر الاشتراكي كثيراً عن مغزى النقد الذي يوجهه الفكر الغربي لبنية وتنظيم الأسرة الباترياركية.



الفصل الخامس

المرأة ومعركة الحجاب

الحجاب لغةً وشرعاً:

ففي اللغة: الحجب والحجاب: هو المنع من الوصول، يقال حجبه أي منعه، **ويقال للستر الذي يحول بين شيئين:** حجاب لأنه يمنع الرؤية، ويقال للآذن على باب الأمير: حاجب **أما معناه في الشرع:** فهو ساتر يستر جميع جسد المرأة تعبداً، وفق ضوابط نص عليها الكتاب والسنة "لماذا أنا محجبة" نها رجب فرج.

وللحجاب صور متنوعة:

أولاً: الاستتار والقرار بالبيوت:

من أشكال الحجاب التي اهتمت بها الشريعة، وأمر بها القرآن استقرار المرأة في بيتها، فلا تخرج إلا لحاجة شرعية، فلا تكون خرّاجة ولاّجة، لتتمكن من أداء وظيفتها التي ناطها الله تعالى بعنقها. ويشهد لذلك قول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: 53) وقوله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: 33).

وهذه الأوامر لا تحظى بكثير من التطبيق في هذا الزمان بعد شيوع الاختلاط، وبعد تشويه بقاء المرأة داخل بيتهان والتقليل من أهمية دورها زوجة وأما، رغم أن هذا أصل فطرتها، ومناط شرفها وعزتها.

ثانياً- الأمر بالحجاب عند الخروج:

وذلك في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: 59)، وقد علل القرآن ذلك بالمحافظة عليهن من الفسقة: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ .

وهذا النوع من الحجاب له أوصفا منها: أن يكون ساتراً لجميع جسد المرأة بما في ذلك الوجه والكفان على الصحيح وإن أجاز عدد من الفقهاء كشف الوجه والوجه في عرف الشرع هو ما كان أسفل الشعر إلى الذقن ومن الأذن للأذن، فلا يعتبر الشعر ولا الرقبة ولا شيء من النحر من الوجه كما يظن بعض الناس، ويكون الحجاب سميكاً ساتراً فضفاضاً، لا يصف ولا يشف عما تحته من الثياب، وذلك أمام الأجانب من الرجال من غير محارمها.

مفهوم الحجاب لدى العامة:

للحجاب لدى العامة مفهوم آخر يختلف تماما عما يقصده الشرع، وهو أن تلبس المرأة ما شاءت من ثياب، سواء كانت ضيقة أم فضفاضة، طويلة أو قصيرة صارخة الألوان والبهرجة أو غير ذلك، مع لبس ما يسمى بالحجاب، وهو أن تغطي المرأة شعرها بشيء لا يكاد يصل إلى منطقة الصدر، بل تلقيه المرأة على عاتقيها. وهذا هو مفهوم الحجاب لدى بعض الناس، وهو فهم مغلوط على خلاف الشرع، وإنما نتج عن قلة اهتمام بعض النساء بمعرفة دينهن، بل إن بعض النساء يلبسن ملابس إلى الركبة، مع الحرص على تغطية الشعر، ويعتبرون ذلك من تمام الحشمة، ومن الحجاب الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم "وهن كاسيات عاريات".

لماذا الحجاب؟

إذا كان بعض المبطلين يفخرون بباطل يتمسكون به، ويحرصون عليه، ويدافعون عنه، ويدعون إليه، ويعيشون عمرهم كله له، فإن من البديهي أن يكون المستمسكون بالفضائل والمروءات والمعتصمون بالسنة والواجبات هم أولى بالفخر، وبالمدافعة والدعوة إلى ماهم عليه من خير.

ومن أعظم ما يميز المسلمة الواعية: حجابها الشرعي الذي تعلم أن في الاستمساك به خيرها في الدنيا قبل الآخرة، وأن حرصها عليه سبيل لنشر الفضائل ومحاربة الرذائل، وقمع إبليس وأعوانه.. على حد ما قال الشاعر يخاطب الصغيرات:

أنـــــا الفتـــــاة المـــــسلمة	مــــــصونة مكرمـــــة
عفيفـــــة محتـــــشمة	أنـــا الفتـــاة المـــسلمة
أعتـــــز بالحجـــــاب	وســـــابغ الثيـــــاب
فـــــضائل الآداب	أحيـــا بهـــا منعّمـــة

***

وكما قالت عائشة التيمورية رحمها الله تفخر بما هي فيه من نعمة:

بيــد العفــاف أصــون عــز حجــابي	وبهمـــتي اسمـــو علـــى أترابـــي
مــا عــاقني خجلــي عــن العليــا ولا	ســـدل الخمـــار بلمـــتي ونقـــابي

***

ولكن تبقى للسؤال وجاهته، لتعتبر من أرادت الاعتبار وتتعلم من أحبت التعلم، وتقام الحجة على كل متكبرة معاندة فإذا سئلت المسلمة: لماذا أنت محجبة؟ قالت بكل اعتزاز: أنا محجبة لأسباب كثيرة منها:

أولاً- فضائل الحجاب:

1- الامتثال لأمر الله..

فأغلى فضائل الحجاب أنه طاعة لله عز وجل، وطاعة للرسول ﷺ وقد أوجب الله سبحانه وتعالى طاعته وطاعة رسول ﷺ وذلك بقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: 36).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالحجاب وذلك في الآيات السابقة من سورة الأحزاب وسورة النور.

والرسول ﷺ قال: "المرأة عورة" يعني: يجب سترها فإذا امتثلت المرأة لأمر الله فقد أطاعت الله ورسوله، وامتثلت لأوامر الشرع الحنيف. ولا شك أن الامتثال أوسع

أبواب الجنة، فقد قال النبي ﷺ : "كلكم يدخل الجنة إلا من أبى" قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى".

2- الحجاب إيمان وطهارة وعفة:

القلب المؤمن يستمد منهجه من خالقه سبحانه وتعالى، ويوجه لله في كل شؤونه فالوحي مصدر غذاء قلب المؤمن وحياته، والقلب الحي هو الذي تغذى بالوحي، وهو الذي يستجيب إذا جاءه الأمر من الله ورسوله، ومن استهان بالشرع مرض قلبه وصار المعروف عنده منكراً والمنكر معروفاً.

والله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات فقال عز جل: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ فمن آمن اتبع الإيمان بالعمل والامتثال ليزيده الله هدى بالتوفيق والتيسير.

وهو أيضاً طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات، قال عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: 53).

ومعلوم أن من أكبر مقاصد الشرع تطهير النفس وتزكيتها، لتكون أهلاً لمحبة الله ورضوانه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 9- 10).

والتزكية: التطهير، والحكمة بينها الله عز وجل بقوله: (أطهر) على صيغة أفعل التفضيل، وبيان ذلك أنه إذا لم تر العين لم يشته القلب، أما إذا رأت العين فقد يشتهي القلب، وقد يميل ويزيغ، فكم من نظرة أهلكت صاحبها.

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها ... فعل السهام بلا قوسٍ ولا وتر

***

فالقلب عند عدم الرؤية لشيء من جسد المرأة يكون أطهر وأبعد عن الريبية والفساد، لأن الرؤية سبب التعلق والفتنة، فكان الحجاب بذلك أطهر للقلب، وأنقى للريبة وأبعد للتهمة، وأقوى في الحماية والعصمة من الفتنة.

والحجاب عفة فقد رخص الله سبحانه وتعالى للقواعد من النساء بوضع الحجاب، وقال: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي بإبقاء الحجاب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ فهذا بالنسبة للعجائز من النساء فالاستعفاف به للشابات من باب أولى، وقد أمرت بالحجاب منهن أفضل منا في الدرجة وهن أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات صيانة لهن من الفتنة، فغيرهن من نساء المؤمنين أولى بذلك، فقد امتثلن رضي الله عنهن لأمر الله، فوجب على كل مسلمة الاقتداء بهن في ذلك لأن الله تعالى طهرهن بالنص القرآني: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: 33).

فمن أرادت أن تكون طاهرة مثلهن سارت على مثل سيرتهن.

ثانياً-للحجاب مزايا نفسية وخلقية:

1- الجانب النفسي:

الحجاب يبعث في نفس المرأة الحياء، والحياء مشتق من الحياة فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا، شقي الآخرة، والحياء خلق يبعث على ترك الرذائل والقبائح، ويمنع التفريط في اوامر الله عز وجل، كما أنه من أقوى البواعث على الفضائل في الأعمال والأقوال.

والرسول ﷺ بيّن فضل الحياء فقال: "إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء"، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "الحياء خصلة حسنة في الرجل المسلم كما كان النبيﷺ: "أشد حياء من العذراء في خدرها" فإنه بالمرأة أليق، وهي به أجدر، باعتباره متمماً لأنوثتها وتاجاً لحسنها، ومقرباً لها من ربها الذي "يحب العبد الحي الخفي التقي".

فالمرأة المحجبة يمنعها حجابها وحياؤها من أن تفعل شيئاً من القبائح يسيء إلى حجابها وخلقها، والحجاب يعتبر خير حارس لحياء المرأة وباعثا لها على الامتثال للفضائل وترك الرذائل.

وللحياء باعثان: باعثٌ فطري نفسي كحياء المرأة من كشف عورتها وهذا موجودٌ في نفوس الآدميين جميعاً إذا كانوا على الفطرة، دون تلويث ولا إفساد لها.

وآخر إيماني مكتسب: يمنع المؤمن من ارتكاب المعاصي خوفاً وحياء من الله عز وجل، وهذا يأتي نتيجة العلم بالله عز وجل، والذكر له والاقبال عليه سبحانه بالانكسار والذلة، وإظهار الخوف والعبودية.

والحجاب يبعث في نفس المرأة القدرة على مواجهة الفتن، ويجعلها تحرص على كل فضيلة تزيد صلتها بالله عز وجل.

2- الجانب الخلقي:

أ- الحجاب يجعل المرأة تتخلق بكل ما هو حميد من الصفات ومكارم الأخلاق، وتتزين بزينة الخلق الحميد، كما أنه يحبب المرأة في الخلق الحسن، وينميه عندها، ويكسبها من الفضائل ما يعلي من شأنها، ويرفع قدرها عند الله عز وجل وعند الناس.

ب- الحجاب يجعل المرأة ترغب في إصلاح نفسها وتقويمها وتسعى إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، والتطهر من الدنس، والتنزه عن كل قبيح.

ج- الحجاب يمنع المرأة من أن تترك نفسها للشهوات تفعل ما تشتهي، دون حملها على مجاهدة النفس، وحملها على نكره من الخير، فقد قال النبي ﷺ: "حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره". فالحجاب يمنع المرأة من أن تزل قدمها في شهوات نفسها.

د- الحجاب يجعل المرأة تضع نصب عينيها أن حسن الخلق هو خلاصة الإسلام وثمرة الإيمان، وأن منزلة العبد في الآخرة على قدر حسن خلقه في الدنيا.

هـ- الحجاب يحرر المرأة من قيد النفس الأمارة بالسوء، ويمنعها أن تلجأ إلى غير الله في أقوالها وأفعالها. كما قال النبي ﷺ "اللهم إني أبرأ إليك من حولي

وقوتي، وألجأ إلى حولك وقوتك" وقوله ﷺ : "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين".

كما أنه يلزم المحجبة أن تسير بلا عوج، متقية بذلك ألسنة الناس وعيونهم، وغضب الله تعالى ومؤاخذته.

الحجاب يتناسب مع خلق الغيرة المعمودة:

إن حياة الغيرة التي يتمتع المجتمع المسلم والتي يسمو بها فوق النجوم رفعة، ويرتقي بها إلى أعلى المنازل فضلاً وطهرة، والتي تعتبر من مكارم الأخلاق، يقابلها في المجتمعات حياة الدياثة والخباثة والتفلت والبهمية التي تترفع عندها بعض الحيوانات.

والغيرة هي أن يحمي الرجل زوجته وغيرها من نسائه كالبنات والأخوات أن يراهن غير محرم من غير ضرورة ملجئة، وعكسه الديوث وهو الذي لا يغار على أهله ويسمح لزوجته أو غيرها من نسائه اللائي يلي أمرهن أن تتبرج وتخرج سافرة، يراها المسلم والنصراني، والبر والفاجر، والكبير والصغيرة، فلا غيرة عنده ولا حياء، ولو تأملنا الواقع من حولنا لأدركنا أن بداية الفتنة هي النظرة المحرمة على حد قول القائل:

قلت: اسمحوا لي أن أفوز بنظرة ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

***

فهل يرضى الرجل أن يسمح لدينه بمثل هذا التردي، وهل ترضى المرأة لنفسها أن يراها البر والفاجر؟!

ولقد صدق من قال:

وما عجبٌ أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجابُ

***

فالحجاب يتناسب مع خلق الغيرة التي هي من صميم الأخلاق والإيمان، فمن لا غيرة له لا إيمان له، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أغير الخلق على الأمة فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة: "لو رأيت رجلاً مع

امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: تعجبون من غيرة سعد؟ والله، لأنا أغير منه، والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها، وما بطن"، والرسول ﷺ كان يحث المسلمين على الغيرة وينفرهم من الدياثة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله: أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه".

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة، والديوث".

والديوث الذي يقر الفاحشة والخبث في أهله.

وإلى كل رجل يغار على أهله أسوق هذه القصة التي ذكرها الحافظ بن كثير في المنتظم: "قال: تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمس مائة دينار، فأنكره فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم هل هي الزوجة أم لا؟؟ فلما صمموا على ذلك، قال الزوج: "لا تفعلوا" فهي صادقة فيما تدعيه فؤمر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: "هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة".

فانظروا أيها الرجال كيف كان حرص هؤلاء على المحافظة على أزواجهم من مجرد نظرة للشهادة وهي مما أجازه الشرع. لكن حرصه على زوجته -السابقة- وغيرته عليها جعلته يقر بما تدعيه للمحافظة عليها، نسأل الله أن يرزقنا مثل هذه الغيرة في رجال اليوم الذين يسير أحدهم كالطاووس بجانب زوجته المتبرجة التي كشف عن كل خباياها، دون أن تطرف له عين، أو تتحرك فيه همة.

الحجاب مرغمة للشيطان:

العداء قائم بين الشيطان وبني آدم منذ خلق الله تعالى آدم وحتى يومنا هذا. فالشيطان عدو عنيد يصر على ملاحقة الإنسان في كل حال كما وصفه الله تعالى

في قوله: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 16، 17).

ولا عاصم للإنسان من الشيطان إلا بالاستمساك بالوحي والشرع، المنزل على الرسول ﷺ وإخضاع هوى النفس لهدى الله عز وجل، ومتابعة الرسول ﷺ، والاعراض عن الشيطان وأعوانه ممن يدعون إلى التبرج والفاحشة.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: 268).

والرسول ﷺ قال: "المرأة عورة" وكشف العورة من الفواحش التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 280).

الحجاب حضارة وارتقاء بقيمة المرأة:

وصف الله سبحانه وتعالى التبرج بأنه جاهلية، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: 33).

والرسول ﷺ وصف دعوى الجاهلية بأنها منتنة أي خبيثة وأمرنا بنبذ كل شيء كان أمر الجاهلية عليه.

ووصف التبرج بأنه جاهلية تنفيراً مما كان عليه النساء من التبرج، وجاءت الشريعة بالبديل وهو الحجاب الذي هو ارتقاء بقيمة المرأة، ورفعة لشأنها وصيانة لعرضها فالإنسان المتحضر يسعى إلى ستر العورات وإلى الحجاب، أما الجاهلي فهو يميل إلى العرى والسفور والتهتك لأنه يميل إلى شهوات نفسه فلا حياء، ولا مروءة، ولا همّةً فيه فنحن نرى ما وصلت إليه المجتمعات الغربية من انتهاك للأعراض وإقبال

على الشهوات، وانحطاط للأخلاق، وانعدام الغيرة، وقلة الحياء، وبسبب التبرج والسفور الذين يدعون إليهما فهل هذه حضارة؟ لا بل هذا هو الجهل ذاته فالتبرج عنوان التخلف والرجعية، أما الستر فهو من التسامي بقيمة الإنسان إلى مستوى الحضارة بمفهومها الإسلامي النقي.

الأبعاد الاجتماعية للحجاب:

إن من طبع المرأة محاولة استهواء الرجل، والسيطرة على مشاعره وامتلاك حسه ولبه في الحلال، وفي الحرام، ومن أجل لفت نظره إليها قد تضع من ألوان الفتن ما يجر إلى المنكر، والإسلام يقدر ما ركب في طبيعة النوعين من التجاذب الذي يؤدي إلى الافتتان والفساد، لذلك أمر المرأة بالحجاب وغض البصر، كما أمر الرجل بذلك، فإذا ترك الناس ذلك لدواعي أهوائهم فسدت الأعراض، وفشت الإباحية، والانحلال الاخلاقي في المجتمع، لذلك جاء الإسلام بالتشريع السامي الذي يحافظ على الأنساب، ويحمي البشرية من الوقوع في الفواحش، وأمر المرأة بالحجاب لأنها بزينتها مصدراً للفتنة فالحجاب اتجاه وقائي يمنع وقوع الفاحشة عن طريق سد المنافذ المؤدية إليها. ومن فوائد الحجاب من الناحية الاجتماعية:

1- تعظيم المجتمع لحرمات الله بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه، فالمجتمع نفسه من حراس القيم، وقد رأينا عموم الناس يستنكرون التبرج ويرفضونه، حتى الفسقة من الناس يأبون أن تخرج نساؤهم متبرجات متكسرات، إلا من ماتت مروءته وخارت رجولته، وتحول إلى كائن لا يغار.

2- وهو صيانة للأعراض من التهتك، فالحجاب يجعل المرأة تحافظ على عرضها من أن تشوبه شائبة.

3- المحافظة على النسل، فالاختلاط مع التبرج الزائد يؤديان إلى الرذائل ويساعدان في الوقوع في الحرام، وقد سئل أحد العلماء الأتراك سؤالا ماكرا بقصد التعريض بالحجاب الاسلامي، وكان السائل رجلا غربياً: (لماذ تبقى نساء الشرق محتجبات في بيوتهن مدى الحياة من غير أن يخالطن الرجال

ويخشين مجامعتهم؟) فرد عليه بجواب مفحم: (لأنهن لا يرغبن في أن يلدن من غير أزواجهن) فبهت الذي كفر وقال أحد كبراء الماسونية: (يجب علينا أن نكسب المرأة فأي يوم مدّت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين).

أرأيت أختي المسلمة: لماذا يريدون منك أن تتخلي؟

إنهم يريدون أن يسلبوك حجابك وحياءك.

ثالثاً- الأبعاد الصحيحة والطبية للحجاب:

نعم للحجاب أيضاً فوائد صحية، ولنضرب بذلك مثلا حين نرى أنه إذا دخل المريض بمرض معد على الطبيب فإن الطبيب ومن معه يلبسون كمامة- على الأنف والفم، وكذلك يلبس المريض الكمامة على أنفه وفمه لمنع انتشار المرض، وعلى ذلك فالحجاب أو النقاب بالنسبة للمرأة بمثابة -الكمامة- الدائمة للطبيب، فهو يحميها من الأمراض المعدية، وإن معظم الأمراض المعدية والأكثر انتشارا تنتقل عن طريق الرذاذ المتطاير من المصاب سواء كان من الأنف أو الفم، أو عن طريق الملامسة، فالحجاب هو القناع الواقي للمرأة من انتقال الأمراض إليها، لذلك فإن لبس القفازين في يديها يحميها من انتقال الأمراض التي تأتي عن طريق الملامسة، كما أن الحجاب يحمي بشرة المرأة من أشعة الشمس المباشرة له ومن الأتربة المحملة بالميكروبات والبكتيريا الضارة التي تضر ببشرتها.

والحجاب يحميها أيضاً من أمراض العيون كالرمد الصديدي والحبيبي والربيعي، وكلها عن طريق الأتربة أيضاً وعلى العكس من ذلك فإن التبرج سبب من أسباب تفشي الأمراض البدنية، والخلقية، والاجتماعية، فقد انتشرت الأمراض المعدية كالإيدز والطاعون والسل وغيرها من الأمراض التي تؤدي إلى انتهاء عمر الإنسان.

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط؟ حتى يعلنوا بها، إلا نشأ فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا".

فماذا يريد أعداء الإسلام منا؟

التبرج والسفور هو أحد المخططات الصهيونية العالمية.

فماذا يريدون من وراء ذلك؟

يريدون تمييع الشباب وإتلافه، وإشاعة التفاهة والانحلال في كيانه لكي لا يتجمع في يوم من الأيام على هدف معين، ويأخذه مأخذ الجد وكانت هذه هي حكمة الصحف العارية والأفلام العارية والشواطئ العارية، وحكمة إخراج المرأة من دينها وأخلاقها وتقاليدها، لتخرج متبرجة في الطريق، وتكون فتنة لنفسها وللشباب من حولها. وبذلك تتحقق أهدافهم كما قال المبشر النصراني "زويمر": (إنكم أعددتم نشأً في بلاد المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار الأوروبي المسيحي، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، فلها يجود في كل شيء من كتاب واقعنا المعاصر.

هل ترضى الأخت المسلمة أن تكون وسيلة من وسائل الاستعمار لتفتن الشباب المسلم عن دينه؟ فتكون بذلك خسرت الدنيا والآخرة. وهل ترضى أن تكون من أدوات إبليس الرجيم في أدوات الذين آمنوا والذين كفروا؟

مثالب التبرج وأثره على المجتمع؟

1- التبرج معصية لله ورسوله وهو من الكبائر الموبقة فقد أمر به الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

2- التبرج يجلب اللعنة والطرد من رحمة الله فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، إلعنوهن فإنهن ملعونات".

ومعنى اللعن: الطرد من رحمة الله تعالى.

3- التبرج من صفات أهل النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما: وذكر منهما: نساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

4- التبرج نفاق، وهو ظلمة وسواد يوم القيامة فعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: "خير نسائكم الودود الولود، المواتي، المواسية، إذا اتقين الله وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم".

5- التبرج فاحشة وتهتك، وهو من سنن اليهود والنصارى وهو جاهلية منتنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ وهو من أوامر إبليس اللعين: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ والتبرج من الفحشاء.

أثر التبرج في المجتمع:

للتبرج آثار سيئة على المجتمع منها:

1- إعراض الشباب عن الزواج الشرعي بسبب ما تطلبه المتبرجات من كثرة النفقات والاسراف في الكماليات، والخروج فيها عن الحد المعقول، وذلك بسبب تقليدها للمرأة الغربية في زينتها وعاداتها، والسير ورائها من غير عقل، وذلك يحتاج إلى نفقات كثيرة ترهق كاهل الأزواج، وتوقع في الإسراف والتبذير الذي مآله الذل والاتعباد والإفلاس والخراب.

2- سبب آخر وهو انعدام ثقة الشباب بعفاف الفتيات بسبب خروجهن سافرات متزينات واختلاطهن بالرجال مع سوء الأخلاق.

3- اقبال بعض الشباب المسلم على الحرام الخبيث والاكتفاء ببيوت الدعارة، ومنهم من يلجأ إلى اللعب ببعض الفتيات مسلوبات العقول يلهو بهن سرا، ومنهم من يفضل العزوبة خشية الوقوع في فتاة شقية، أو شك في طهارة النساء لما رأى من فحشاء وما عرف من ظالمات لأنفسهن.

4- انتشار الأمراض بسبب إقبال بعض الشباب على الحرام كالإيدز والسل الرئوي والزهري والسيلان وغيرها من الأمراض التي تؤدي إلى الهلاك، وهذا جزء من كل ولو أننا تعرضنا لأخطار التبرج على المجتمع فلن تكفي تلك الصفحات القليلة.

فعلى كل مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتقي الله في نفسها وأهلها ومجتمعها وتتمثل بأمر الله بالحجاب.

وإليك أختي أسوق هذه القصيدة على لسان مسلمة تفخر بحجابها وهي الشاعرة عائشة التيمورية أخت العلامة أحمد باشا تيمور وعمّة محمد ومحمود تيمور (من كتاب عودة الحجاب):

بيد العفاف أصون عز حجابي	وبهمتي أعلو على أترابي
وبفكرة وقادة وقريحة	نقادة قد كملت آدابي
ماضرني أدبي وحسن تعلمي	إلا بكوني زهرة الألباب
ما عاقني خجلي عن العليا ولا	سدل الخمار بلمتي ونقابي

***

وقولي كما قالت أخت صالحة من قبل:

أيها القوم أصلحوا أنفسكم	ضل من رام السفور وخابا
برقعي وسط محيطي شرفي	لم أحد عنه ولو ذقت العذابا

***

واحذري من الذين قالوا:

قالوا ارفعي عنك الحجابا	أو ما كفاك به احتجابا
واستقبلي عهد السفور	اليوم واطرحي النقابا

عهـــد الحجـــاب لعــــدمنا عــــد يومــــه عنــــا وغابــــا

***

ونختم ونقول:

في الحقيقة أن هذه المعركة التي يتزعمها بعض العلمانيين من العرب، وأغلب أهل الغرب، ستبقى مستمرة ودائمة على مدى الأجيال والعقود، فهو سراع ليس أساسه المرأة بل هو صراع ديني عقدي، والمرأة جزء منه، ولكن هذا الجزء هو أصعب الأجزاء وأخطرها، فهي تمثل الجانب الأهم في حياة البشرية جمعاء.



الفصل السادس

التربية الدينية

ودور الأم في تربية الأبناء

"إن التربية عمل تحتمه الضرورة".. لأن الملاحظ أن لكل أمة مثلاً وأهدافاً خاصة تسعى لتحقيقها، فكل أمة تتعصب لحملها في تحقيق ما تسعى إليه متسلحة بأعظم الأسلحة وأكثرها تنوعا، ولا ترضى أمة لمن يسير في كنفها إلا أن يعتنق عقيدتها..

ولما كانت التربية إكساباً لهذه الآمال والأحلام.. للأهداف والمثل العليا إلى جيل جديد كان لا بد من وجود التربية الإسلامية، انطلاقاً من ذاتية هذا الدين وعدم خضوعه لأي ملة أخرى.. وقد تعددت المسارات عند التحدث عن التربية وكتبت في هذا الموضوع أقلام كثيرة ممن نحسبهم والله أعلم من الحريصين على المجتمع الإسلامي وميزاته الخاصة والمرتبطة به، فنهلنا القليل من علمهم، وجمعنا بعضاً من فيضهم، آملين أن نحقق الهدف وهو التعريف بالتربية الإسلامية ووسائلها، كذلك إدراك منهجها لمراحل عمر الإنسان المختلفة، ونتعرض لأهم المشكلات المعاصرة التي تواجه التربية الإسلامية في عصرنا راجين من الله التوفيق..

مفهوم التربية الدينية:

التربية لغة: كلمة رب تعني في الأصل التربية، ويتشعب من هذه الكلمة وهذا المعنى: التصرف، والتعهد، والاستصلاح، والاتمام.

التربية اصطلاحاً: التربية هي رعاية نمو الإنسان في جوانبه المختلفة: الجسمية والعقلية واللغوية والانفعالية والاجتماعية والدينية، وتوجيهها نحو الإصلاح، للوصول إلى الكمال.

المقصود بالتربية الدينية: تربية الناشئ على العبودية لله تعالى، وتعلق قلبه به في جميع شؤون حياته كلها: النفسية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية.. والكلية، وتنظيم علاقته مع الله تعالى والآخرين، وفق ما جاء

عن الله تعالى وذلك بقول الحق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).

خصائص التربية الإسلامية:

تمتاز التربية الإسلامية عن سائر أنواع التربية بشموليتها لأنها من عند الله تعالى، وفق ما أمرنا به الحق عز وجل.. فمن ينظر في التربية الإسلامية يدرك أنها لم تغفل عن أي جانب من جوانب الفطرة الإسلامية، لأن هذه الفطرة من الله تعالى قال الحق: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: 30).

فالإسلام ينظر إلى الإنسان كجسد وروح، ويربي كلاً على ما يحتاجه دون أن يطغى جانب على الآخر، وفي الوقت ذاته يحترم العقل ويدرك أهميته "فساعة العبادة وإن قصرت ليست خاصة أو معتمدة على الروح فقط، وإنما هي حركة جسم وحركة عقل –بالتفكير والتأمل– وتغذية للروح، والصلاح تظهر فيها بوضوح هذه الحقيقة[1].

"وقد أودع الله تعالى في الإنسان عواطف واضحة تحدد لصاحبها أسلوباً مهذباً في تحقيق هذه الدوافع دون إيذاء الآخرين والعاطفة إذا كانت جياشة واشتدت وزاد الاهتمام بها، أصبحت شغل الإنسان الشاغل، وطغت على ما سواها، وأصبحت في مكان القادة وسميت– العاطفة السائدة– لأنها تسيطر على كل طاقات الفرد.. وبها يفعل الإنسان الأعاجيب والبطولات.. ويمكن أن نستفيد من هذه العاطفة إذا وجهت بطريقة سليمة لاختيار موضوعها. ولقد قامت التربية الإسلامية بجعل هذه

1 - منهج التربية الإسلامية ج1، محمد قطب، ص24 بتصرف.

العاطفة السائدة هي العاطفة الربانية، وهي تشمل وتنظم جميع جوانب الحياة، وتحرر الطاقات المختلفة والمحجورة"[1].

والإسلام كمنهج تربوي شامل يحقق التوازن في الشخصية الإسلامية، ويوحد جميع الطاقات لتحقيق هدف واحد، هو مرضاة الله والوقوف عند حدوده "فهو بذلك يعمل على التوقيع على أوتار النفس كلها مجتمعة ومرتبطة.. لأن سمو جانب على آخر يحقق الاختلال، فيجنح العقل فيعيش بعيداً عن واقع الحياة، أو تجنح الروح بسبحات روحية وسلبية لا تتحول إلى عمل ولا تحقق الإنتاج، ويقتصر ذلك الدين على أشخاص غير قادرين على الإنتاج"[2].

ولتحقيق هذه الغاية غاية تكوين "شخصية مسلمة" أو بمعنى آخر "تربية إسلامية" لا بد من أسس ومبادئ يقام عليها هذا البناء سنتناول الحديث عن بعضها:

الأساس العقدي:

إن العقيدة إطار حياة يحيط بكل جوانب التربية من علم وعمل ومعاملة لأن الاستعداد لها وأسسها موجودة بالفطرة في عقل الإنسان: "ولا يصل الطفل إلى العقيدة بالحواس أو الاستدلال، إنما يتمثلها فيما يتمثل من أفكار ومشاعر وأحكام عن طريق والديه وبيئته، وما يسري على خبرات الطفل عامة يسري على خبراته الدينية" قال رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه"[3]. ويشمل الأساس العقدي توحيد الألوهية، بذكر اسم الله عز وجل في كل أمر عند الشراب والأكل، ورفع الصوت عند ذكر الأدعية والأذكار حتى إذا ما أفصح الولد وبدأ الكلام لقناه الشهادتين، وعلمناه النطق بهما، فقد كان يستحق الصحابة والسلف أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات فيكون ذلك أول ما يتكلم به.. وتحفيظه بعض قصار السور القرآنية، والأذان، بذلك نحافظ

---

1 - التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبد الرحمن نحلاوي، ص99- 102 بتصرف.

2 - منهج قطب، مرجع سابق، ص29 بتصرف.

3 - وحدة تنمية الشعور الديني عند الأطفال، د. عواطف إبراهيم ص54 بتصرف.

على فطرته، حتى إذا ما كان حول السنتين نعلمه توحيد الربوبية من خلال تعليمه التأمل في خلق الله.. وطرح الأسئلة: من خلقنا؟ من رزقنا؟ من أعطانا الحواس إنه الله تعالى.. فنشكر الله أمام الطفل ونحمده..

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها لتقتدي بها.. والتربية الإسلامية تتطلب أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ، ويتحقق ذلك بدوام التحدث عن قصص الأنبياء وسيرة المصطفى ﷺ وبيان أهميته، ودوره العظيم في تعليمنا الدين، ودوام الصلاة على الأنبياء، ولقد وصى الرسول ﷺ في الحديث الشريف: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه" رواه الطبراني...

"ومن مسؤولية المربي تربية روح المراقبة لله سبحانه وتعالى بترويض الولد على أن الله يراقبه ويراهن ويعلم سره ونجواه ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وترويضه على الإخلاص لله رب العالمين في جميع أعماله، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة: 5) [1].

وتجد الإشارة إلى أن هذه الفترة السنوات الأولى من عمر الإنسان قد يختزن الطفل فيها تجارب ومفاهيم لا يعبر عنها ولكنها تبقى في الذاكرة، وقد يتلقى مفاهيم عقائدية مغلوطة من خلال التلفاز وبرامج الأطفال، كتصور قوة للشمس، أو تصوير الملائكة كما هو الحال في برامج الرسوم المتحركة، وهنا يأتي دور المربي في تصحيح هذه المفاهيم. ولا يغفل المربي عن ترسيخ مفاهيم الجنة والنار لدى الأطفال، ويجدر به الاهتمام بجانب الترغيب، لأنه أقرب إلى نفوسهم، وأكثر تأثيراً في شخصيتهم لأنه يحمل عنصر التشويق.

---

1 - تربية الأولاد في الإسلام، ج1، عبد الله علوان، ص150- 159 بتصرف.

الأساس الخلقي:

أعلن الفيلسوف "كانت" أنه: "لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة: وجود الإله، وخلود الروح، والحساب بعد الموت" "ومما لا شد فيه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الصحيحة... فالوازع الديني إذا تأصل في ضمير الطفل والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق نفسه فتجعل لديه حسن المراقبة لله عز وجل، كل هذه الصفات أو العوامل تقف حائلا بين الطفل والصفات القبيحة"[1] والأدب يختلف وإن صح التعبير يتنوع فمنه أدب التعامل مع الوالدين وحقوقهما وما يلحق ذلك من أدب الخطاب معهما وبرهما في كل ما أمر الله، يتبع ذلك أدب الاحترام والتوقير، روى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط".

وقال أيضاً: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا" رواه أحمد وغيره قد تواجه المربي مشكلات أو ظواهر في هذا الجانب منها:

ظاهرة الكذب:

يجب أن يميز المربي بين الكذب بمفهومه المتعارف عليه وبين خيال الطفل الذي يرسم له صوراً منافية للواقع فينقلها إلى من حوله مصدقاً لها ولحدوثها، فهذه ظاهرة صحية إذا لم تتجاوز الحدود.

وعلى المربي أن يشنع ويقبح من صفة الكذب للطفل، ويوضح أن فيه معصية وعقاباً، وخيانة لمن يستمع للحديث، فقد روى أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: "كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له به كاذب".

---

1 - عبد الله علوان، مرجع سابق، ص167 بتصرف.

ومثل هذه الظاهرة قد يكون السبب فيها (القدوة)، فمرة واحدة يجد الطفل أمامه أحد والديه مثلا يكذب، تكون كافية كقدرة له في الكذب، كذلك كذب المربي على الطفل نفسه، قال رسول الله ﷺ: من قال لصبي هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة" رواه أحمد وغيره.

ظاهرة السباب والشتائم:

روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء".

إذا ما بحثنا عن جذور هذه الظاهرة التي تسيء للأخلاق نجدها في القدوة أو بشكل خاص في الوالدين ومن سوء الخلطة من الأتراب ومن يخالطهم في المجتمع أو من التلفاز وبرامجه، التي تجذب انتباه الأطفال وتلقنهم ما تريد أبينا أو رضينا.

ظاهرة الميوعة والانحلال:

تتفشى هذه الظاهرة في مراحل الطفولة المتأخرة تحديداً في مرحلة المراهقة ويمتد من هذه الظاهرة الرقص الماجن، والتقليد الأعمى، والانغماس في الرغبات، والمبالغة في سماع الأغاني، لعل أعظم الأسباب وأكثرها وضوحاً لهذه الظاهرة عقدة الأصفر والتشبه بالأجانب لما يوليهم المجتمع من احترام وتقدير.. ولقد نهى الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي: "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا النصارى". ومن الأسباب كذلك الإباحية، واتخاذ التلفاز وسيلة للترفيه والتثقيف دون النظر لأخطاره في كسب الخبرات ورسم خطوط الشخصية، ويكون الحل لهذه الظاهرة بزيادة الوعي بالأخطار المترتبة عليها وأن يكون المربي حميم الصلة بمن يربيه وقدوة حسنة متكاملة الجوانب، كما أن غرس الذاتية الإسلامية وحب الدين داخل المراهق لها عظيم الأثر في توجيه الطاقات وحفظها من التبعثر في ما يضيعها..

الأساس العاطفي والنفسي:

"المقصود بالتربية النفسية: تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة، والشجاعة والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين والانضباط عند الغضب، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق.. والهدف من هذه التربية أن يقوم الولد بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه، وأنبل معنى[1]: "تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، وهي تكون نفسه وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنساناً سوياً في مستقبله وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك بالزيادة أو النقصان تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباها"[2] روى في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان أرحم الناس بالصبيان والعيال، ومن مظاهر الرحمة والعطف أن يقبل الطفل، فإن القبلة لها دور فعال إيجابي في تحريك مشاعر وعواطف الطفل، وتشعره بقرب الكبير منه وتواضعه، وهي نور يبهر فؤاد الطفل، وسنة المصطفى ﷺ مع الأطفال، كما أن من سنته مع الأطفال مداعبتهم وممازحتهم، واقتدى الصحابة بمنهج الرسول ﷺ وقال عمر رضي الله عنه: "ينبغي أن يكون في أهله كالصبي" أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق، والمداعبة مع أولاده.. ومن قواعد التربية المساواة بين الذكر والأنثى وعدم المفاضلة بينهما، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان له أنثى، فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده -يعني الذكور- عليها أدخله الله الجنة". إذا ما نظرنا بصورة أكثر واقعية وشمولية لمراعاة هذا الجانب العاطفي والنفسي في التربية الإسلامية، نجد أن هذا المنهج قد وازن بين خطين أو اتجاهين من اتجاهات النفس المزدوجة المتقابلة وهما الحب والكره..

---

1 - عبد الله علوان، مرجع سابق، ص199 بتصرف.

2 - محمد قطب، ص40- 148 بتصرف.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: 8) فالإنسان بفطرته يحب نفسه والاستمتاع بكل لون من الملذات الحسية والمعنوية ويكره كل ما يقف في سبيل هذه الشهوات.. لكن الإسلام لا يجعل من حب النفس سعياً وراء الشهوات بل ظلماً للنفس، بل حب النفس نصحها واختيار طريق النجاة لها. فقد وقع الإسلام على وتر الحب أنغاماً جميلة أولها نغمة حب الله واهب كل شيء: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (الجاثية: 13)، يليها نغمة الحب للكون الذي خلقه الله وحب الكائنات الحية، فالناس قد خلقوا من نفس واحدة وهم إخوة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: 1)، أما الكره، فيوجه الإسلام الإنسان ألا يكره الله سبحانه، أو يكره رسوله، أو ملائكته أو شيئاً من الخير. ولكن عليه أن يستخدم طاقة الكره الفطرية في كراهية الشر بجميع صوره وجميع ألوانه، ويجمع الشر كله الشيطان بذلك تتحقق الشخصية المتوازنة ... ويجدر بنا التحدث عن أهم الظواهر التي يجب على المربين أن يحرروا أولادهم منها:

ظاهرة الخجل:

تلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال، وللبيئة أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله، ولا تتم إلا ان تعود الأطفال على الاجتماع بالناس، وهذا التعود يكسبهم الثقة بأنفسهم، ويجب على المربين أن يأخذوا بقواعد التربية الفاضلة المستوحاة من أبناء السلف الذين كانوا يتربون على التحرر من ظاهرة الخجل، فينشأ الأولاد على الجرأة ضمن حدود الأدب والاحترام، ومراعاة شعور الآخرين، وإلا تنقلب الجرأة إلى وقاحة، وعلينا أن نميز بين الخجل وانكماش الولد وانطوائه

وتجافيه عن ملاقاة الآخرين وبين الحياء التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام[1].

ظاهرة الشعور بالنقص:

هي حالة نفسية تعتري بعض الأولاد لأسباب خلقية ومرضية، أو عوامل تربوية، أو ظروف اقتصادية.. ولها عظيم الاثر في تعقيد الولد وانحرافه إلى الشقاء والإجرام، **ومن عوامل هذه الظاهرة:**

1- **التحقير والإهانة:** من أمثلتها مناداة الولد بكلمات نابية وعبارات قبيحة أمام الإخوة والأقارب والغرباء، عند أقل خطأ يقع من الطفل، مما يجعل الولد ينظر إلى نفسه أنه حقير، وينطوي على نفسه فاراً من أعباء الحياة، منهزماً من تكاليفها. فكيف يبر الولد أباه بعد هذا، جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوق أبيه، فاشتكى الولد أباه قائلاً: "أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي.. وقد سماني جعلاً (أي خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً فالتفت عمر إلى الرجل، وقال له: جئت إلى تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك...

والمعالجة الصحية أن ننبه على خطئه برفق ولين، ونقنعه بالحجج الدامغة ، ونفهمه أن الذي صدر منه لا يرضي أحداً.

2- **عامل الدلال المفرط:** فلا تترك الأم ابنها يقضي حاجاته بنفسه، ولا يغيب عن نظرها لحظة واحدة، وعلاج هذه الظاهرة أن يعلم الوالدان أن الله قد خلق كل شيء بقدر، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ (الحديد: 23). وتربية الولد منذ نعومة أظفاره على الثقة بالنفس لتوجيه

---

1 - عبد الله علوان، ص301- 307 بتصرف.

عمر بن الخطاب "علموا اولادكم السباحة والرماية.." فذلك يكسبهم الثقة، ويعلمهم الاعتماد على النفس، واتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في شبابه، فقد كان يرعى الغنم، ويقوم بعملية البناء وغير ذلك كذلك المفاضلة بين الأبناء تصل بالطفل لهذه الظاهرة.

3- **العاهات الجسدية**: أول خطوة النظر إليهم برحمة وحب، وأن يخصوهم بالعناية والرحمة ثم اهتمام المربين بالنصح والتحذير من خلطاء السوء ممن يسيئون له، ويوجهون الألفاظ السيئة له.

الأساس الجسمي:

يقصد بالجسم الطاقة الحيوية المنبعثة من الجسم والمتمثلة في مشاعر النفس والدوافع الفطرية والنزعات والانفعالات .. ولا نستطيع أن نفصل بين النفس والجسم، فالحواس الخمس جسمية، لكنها لا تؤدي وظيفتها منفصلة عن الكيان النفسي كله... والإسلامي يراعي الأمرين معاً... فحين يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "إن لبدنك عليك حق" من إطعام وإراحة وتنظيف ورياضة.. فهو يدعو إلى هذه العناية ليأخذ الإنسان نصيبه من الدنيا، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة، التي تشكل كل كيان الإنسان، فالإسلام لا يحتقر الجسم، بل يؤكد أن من غير الممكن فصله عن الروح والخلق والعقل، فالصلاة كما ذكرنا سابقاً يتضح فيها هذا الارتباط، فالضوء عملية جسمية وله معان روحية قصد به تطهير البدن قبل الدخول للصلاة، وهي حركة جسم وانطلاقة روح. "إن للجسم رغبات وشهوات ليست منقصة للجسم، لأن وراء كل رغبة أو شهوة حكمة بالغة تترتب عليها استمرارية الحياة وتكاثر الإنسان وممارسة حياته قوياً قادراً على العمل والسعي..."[1].

1 - تربية الناشئ المسلم، د. علي عبد الحليم ص289.

فالإسلام يعترف بحق الإنسان في التمتع بما أحل الله قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل: 5- 6).

ويترتب على معرفة الإسلام بجسم الإنسان واعترافاً منه بحقه، دعا إلى ممارسة ما يعود عليه بالنفع وحمايته مما يسبب له الضرر بالتخلي عن ذميم الأخلاق والتحلي بحميد الأخلاق والصفات منها الدعوة إلى الرياضة البدنية وهي حماية للجسد، وتدريب على الأخذ بأسباب القوة والنشاط، فقد روى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس اللهو إلا في ثلاثة: تأديب الرجل فرسه –الفروسية- وملاعبته امرأته، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها.." ومن ذم كل ما يسبب الضرر للجسم مثل النهي عن المسكرات..

ظاهرة تعاطي المسكرات والمخدرات:

غالباً تبدأ هذه الظاهرة بالتدخين لتفشيه في طبقات المجتمع المختلفة، ولا يغفل أرباب العقول عن أضراره الصحية، أما النفسية فهو يضعف الذاكرة ويهيج الأعصاب.. والأعظم من ذلك أنه يتدرج معه فساد ورذائل منها الخمر والمخدرات.

فلم تقتصر الظاهرة على التدخين بل أصبحت أكثر خطورة "فمن المعلوم أن الدول الاستعمارية تتخذ من ترويج المخدرات سلاحاً فتاكاً لكسر شوكة الشعوب، وتمييع أخلاق الأمة وإخماد جذور روح الجهاد والمقاومة"[1] وقد تلونت وتشكلت بصورة براقة، ويقع في شباكها من يريد ومن لا يريد إذا وجدت الغفلة وفقدت التوعية، فنفثت هذه السموم في المدارس وعلى أيدي مربين أو في وجودهم فتارة هي حبوب وتارة أشرطة لاصقة تستخدم اللهو وهي أفعى تنفث سمومها في جسم الناشئ فالمربي وجب عليه أن يزد من وعي الأولاد لخطر هذه الظاهرة

---

1 - عبد الله علوان.

واتخاذهم أصدقاء كي لا يفروا إلى المخدرات هرباً من صراعات نفسية أو مشاكل اجتماعية، كما أن وجود الوازع الديني والتربية الصالحة على الإيمان واستشعار مراقبة الله عز وجل وتنفيذ حدوده بمعاقبة مرتكبي تناول المسكرات، له دور عظيم في الحد من هذه الظاهرة.

الأساس العلمي والفكري:

التربية العقلية هي التي تهتم بالعقل وتغذية، وتمده بأسباب نشاطه وحيويته، وتنمي قدراته واستعداداته... فالإسلام يقرر أن العقل من أكبر نعم الله على الإنسان بعد نعمة الإسلام، روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم.."[1] وينهج الإسلام إلى تحرر العقل من الخرافات والدجل والتبعية.. فقد عاب القرآن على قوم يتبعون ملة الآباء دون تفكر قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة:170) ومن الخرافات المخالفة للعقيدة دفع الحسد برش الملح أو وضع تعليقة زرقاء.. كذلك الذهاب إلى الكهان.. فعندما سئل رسول الله ﷺ عنهم قال: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخطفون أكثر من مائة كذبة".. رواه مسلم. وحاربت السنة المطهرة البدع وهي كل جديد على هذا الدين لم تأت به آية كريمة أو حديث صحيح. ثم حدد الإسلام مسار العقل في الاتجاه المحدد له، واعتبر أن العقل يوصلنا إلى معرفة وجود الله، لأنه بمثابة مطية السلطان توصلنا إلى بابه ولكن لا تعطينا التصور الحق عن هذا السلطان.. فلا دور له في معرفة الغيبيات، فالتفكير فيها تبديد الجهدن دون جدوى مثمرة.. "ويحرص الإسلام أشد الحرص على ربط القلب بالله، وتوجيه العقل الذي هو أداة التفكير فيما على الأرض إلى حكمة الله

---

1 - د. علي عبد الحليم، ص263.

من الخلق وآياته في رحاب الكون" [1] قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190) ففي الآية الكريمة وصف لمن يتفكرون ويعملون عقولهم في التفكير بخلق الله بأنهم من أصحاب عقول سليمة "أولي الألباب".

وأول أساس زرعه هذا الدين في الطفل هو حب العلم، وحب تعلم القرآن يقول ابن عباس رضي الله عنه: "من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبياً" فتعلم القرآن والسنة المطهرة في الصغر له عظيم الأثر في توسيع مدارك الطفل وتقوية هذه المدارك.

ويقصد بطلب العلم أولا العلم الشرعي ثم يليه باقي العلوم، فلكل أهميته قال الإمام الشافعي: "من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحديث جزل رأيه".

ولتحقيق التربية الفكرية الجيدة للطفل يجب أن نوضح الفكر المستقبل للطفل من خلال أخذ رأيه في الأمور التي يتعامل معها مثل موقع سريره، ومكان العابه.. مبتدئين بتقديم بديلين مناسبين له، وإثارة تفكيره حول أسباب القيام أو عدم القيام بعمل ما... كما يتحقق ذلك بتعمد حل المشكلات بهدوء ليتعلم التفكير الهادئ وعدم إحباطه إذا نقد أي تصرف خاطئ للكبار.. ولا تتأتى التربية الفكرية الجيدة إلا عند وجود قدوة واعية تهيئ مطالعة واعية تشتمل على قصص مناسبة للأطفال واختيار الرفقة الصالحة بمصاحبة من يجمع بين الصلاح، والتقوى، وفضيلة النضج العقلي، لأن مصاحبة البليدين تكسب البلادة.

ولا بد من وسائل لتحقيق هذا الهدف السامي.. هدف التنشئة الإسلامية ،ونتطرق للحديث عن بعضها.

---

1 - محمد قطب ص103 بتصرف.

التربية بالقصة:

"التربية بالقصة القرآنية تجعل المعاني والمفاهيم مواقف محسوسة توقظ الضمير وتثبت العقائد الصحيحة، ولا سيما أن الإنسان في حاجة إلى التذكير دائماً"[1].

وتلعب القصة دوراً كبيراً في شد انتهاب الطفل وإعمال عقله وفكره، ومن الأساليب المقترحة في هذا المجال سرد قصة نوع عليه السلام بأسلوب مثير فيه تشويق للأطفال، ثم مناقشة الأطفال في أحداث القصة: من أمر السماء أن تمطر؟ ما هو سبب حزن نوح على قومه؟.. وينبغي ألا يزيد الاستماع للقصة عن ثلث ساعة فقط حتى لا يمل الأطفال.. ولترسيخ معاني ومشاهد القصة يطلب من التلاميذ رسم بعض أحداث القصة مثل سفينة نوح...

فالقصة لها سحر على قلوب الصغار والكبار، وتقدم الفائدة وتحقق الهدف بشكل سلس يسهل إدراكه.

التربية بالقدوة:

"من السهل "تأليف" كتاب في التربية، ومن السهل وضع منهج للحياة أو التربية وإن كان في حاجة إلى براعة وشمول.. لكنه يظل حبراً على ورق، معلقاً في الفضاء.. ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرراك على الأرض، وما لم تتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه"[2] لذلك أانزل الله القرآن والوحي على بشر ليكون قدوة للناس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: 21).

---

1 - دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة، فتحية عمر الرفاعي، ص79.

2 - محمد قطب، ص180 بتصرف.

إن أهمية القدوة تعود إلى فطرة تكمن في نفوس البشر هي التقليد، والطفل يجد ذاته دون أن يشعر يحاكي من يحب في لهجة الحديث أو أسلوب الحركة أو المعاملة.. "لذلك نبه القرآن الكريم الآباء إلى أن محبة الأطفال والعطف والحنان عليهم يجب ألا يشغلهم عن أن يكونوا قدوة صالحة لهم وهذا واضح من قول الحق: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74) [1].

"فالولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة، كما أن الولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون"[2]. هذا يوضح أن انتقال تأثير القدوة إلى المقتدي أمراً تلقائياً، وقد تعلم الصحابة الكثير من أمور دينهم بطلب من رسول الله ﷺ بالاقتداء، فكان يقول لهم: "صلوا كما رأيتموني أصلي، رواه البخاري.

التربية بالترغيب والتأديب:

يقول الإمام الغزالي في حسن تأديب الطفل: "فالصبي إذا أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذاباً، حسوداً سروقاً، نماماً، ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب". وأمرنا بتأديب الصبيان في الصغر لعدم وجود عزيمة تصرفهم للمذاهب الجميلة والأفعال الحميدةن ومما لا شك فيه أن التصحيح الفكري للخطأ له أبلغ التأثير وأكثره بقاء في نفس الطفل، وهذا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كخ.. كخ" ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة".

1 - فتحية عمر ص96 بتصرف.

2 - محمد قطب، ص186.

وغالباً ما يكون الضرب هو وسيلة التأديب للطفل، علماً بأن أول عقوبة جسدية للطفل عند ارتكاب فعل شنيع هي شد الأذن، ويسبقه ردع الأطفال برؤية السوط فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى البخاري أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت، فإذا لم تجد هاتان الطريقتان لجأ المربي إلى الضرب ابتداء من سن العاشرة، انطلاقاً من الأمر النبوي بضرب أبناء العشر على الصلاة، ويكون ضرباً خفيفاً لأن الضرب للتأديب كالملح للطعام، وكثرة الضرب تقلل من هيبته.

ليعلم كل مربي أن للضرب مواصفات، فيجب أن يكون بين اللين والشدة والغلظة والدقة، وأن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد فبين الضربتين زمن يخف به الألم الأول، وعن النبي ﷺ في وصف مكان الضرب أنه قال: "إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه..." رواه أبو داود، فأفضل مكان للتأثير اليدين والرجلين.

ومن العدل الذي حققه الإسلام من الضرب هو تثبيت معنى الضرب للتأديب وليس للغضب أو الانتقام، فينبغي لمعلم الأطفال أن يريح قلبه من غيظه وغضبه ليتقي ضرب الطفل المسلم لا باحة الغيظ، وفي هذا نهي المصطفى ﷺ أن يقضي القاضي وهو غضبان.

ومن نهج السنة النبوية عند ضرب الطفل أن نجيره إذا استجار أو ذكر الله قال الرسول ﷺ : وإذا ضرب أحدكم خادمة فذكر الله فارفعوا أيديكم" رواه الترمذي. وطبائع النفوس تختلف فمن الأطفال من يجدي الترغيب معهم، "ويوضح العلة فيها قبل إنزال العقاب على المخالف"[1] وتغرس التربية الإسلامية الترغيب والترهيب فيما عند الله: (الزلزلة: 7- 8).

فإذا ما غرسنا في نفس الناشئ عاطفة حب الله تعالى تستطيع هذه العاطفة أن تربي الناشئ على الخوف من الله تعالى، فيحرص على ما يرضيه خوفاً منه تعالى ورغبة في إرضاء الحق عز وجل، ويساند هذا الدور حب المصطفى ﷺ فبذلك نكون قد زرعنا في تربة خصبة جيدة الإنماء خير وسيلة لغرس ما نريد من مبادئ..

---

1 - مجلة آفاق تربوية، العدد الثاني ص36.

التربية بالإعلام ووسائله المختلفة:

سيلحظ القارئ أن الإعلام سيذكر كوسيلة تربوية، وكمشكلة تربوية كذلك، يرجع ذلك إلى أنه سلاح ذو حدين، وتأتي أهميته أو ضرره لكونه كالدم الذي يجري في الشرايينن فإذا فسد أفسد الجسم والعكس صحيح. ويقصد بالإعلام التلفاز والإذاعة والصحف وغير ذلك من وسائل الإخبار، وكما يقال فإننا نعيش في عصر ثورة الاتصالات، والتي يحققها الإعلام وغيره في هذا العصر.. "ويعتبر التلفاز أهم وسيلة اتصال، لأنه يجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون إلى المشاهدين، ويجذب التلفاز الطفل بالرسوم المتحركة والمسلسلات والبرامج الخاصة به، مما يجعل الفرصة مواتية إذا أحسنا استخدامها لغرس المفاهيم الدينية، وبناء عقيدة سليمة لدى الطفل، كما يعمل التلفاز على إكساب خبرات حياتية بتعريف الطفل على أجزاء جسمه ووظائفها، وتعريفه بالمهن المختلفة، وإكسابه الاتجاهات الإيجابية السوية نحو الدين والذات والآخرين، وتنمية العادات والتقاليد المتمشية مع البيئة... كما يعمل التلفاز كوسيلة إعلامية للطفل على غرس التفكير العلمي في أذهان الأطفال عن طريق استغلال الأمور المحبة للأطفال في عرض طرائق التفكير العلمي، والاستعانة بقصص الخيال العلمي التي تساعد على تعليم الأطفال.

وليتحقق في التلفاز هذه الأهداف التربوية لا بد من توافر شروط يسير وفقها منها:

1- ألا يكون ما يعرض من شأنه هدم العقيدة.
2- الابتعاد عما ينافي الآداب العامة.
3- ألا تتضمن ما يسيء إلى سمعة الوطن وعاداته.
4- ألا يكون مضمونها يوحي بالجريمة أو يحرص عليها[1].

---

1 - مجلة التربية، العدد 107 ص278 بتصرف.

إن تحقق في التلفاز هذه الخصائص كان وسيلة إعلامية تربوية، نلحظ ذلك في بعض البرامج والمسلسلات الدينية التي عرضت للطفل مبتعدة عن تشبهها بالحصص المدرسية وسرد النصائح.

"أما الصحافة فإذا وجدت صحافة مخلصة فإنها تستطيع أن تمنح الأطفال ثقافة متنوعة أصيلة وتنمي شخصيتهم ليسلكوا دروب الحياة بوعي كافي.

وتجدر الإشارة إلى أن المربي عندما يحسن انتقاء الكتب والمجلات التي تلائم عقيدتنا ومبادئنا... وتنمي القدرات الذهنية والخيالية عند الطفل، يعمل على تنمية عادات القراءة وحب المطالعة، وخلق وعي شامل عند الآباء والأمهات حول أهمية القراءة.. "[1] والمكتبة العربية والإسلامية بحمد الله في عصرنا ويومنا الحالي تشهد صحوة وتطرح بدائل جيدة للطفل والناشئ المسلم.

ملء الفراغ:

ينشأ الفراغ من انعدام الهدف في الحياة، وعدم القدرة أو المعرفة باستغلال الطاقات الموجودة، ويصحب الفراغ مفسدة للنفس، وتبديد للطاقة البشرية، التربية الإسلامية تؤقت للإنسان يومه فقسم الله الزمن إلى ليل ونهار وجعل لنا مهمة في كل من هذين القسمين: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ: 10- 11)

وقسمت الصلاة في اليوم إلى خمسة أقسام، كل فرض يؤدي في وقته، ولكي تملأ النفس فقد أيقظت التربية الإسلامية جميع عواطف النفس وانفعالاتها من خوف ورجاء ورغبة ورهبة كما أن في القرآن إشارات جمالية كثيرة أدت إلى هذا الهدف، بالتأمل في جمال الكون، وغرس حب الجمال وحب الخير في نفس المسلم.

وكثير من الأمراض النفسية يكون المنشأ فيها هو الفراغ لذلك وجه الإسلام إلى تفريغ طاقة الإنسان في كل ما سنفعه، وكل ما يخفف أعباء النفس،

1 - مجلة آفاق تربوية، العدد السادس ص247.

فتفريغ طاقة الكرة في الشيطان، وتفريغ طاقة الحب لله والكون والناس... فتتوازن النفس، وتجد ذاتها في العمل في اتجاه الحب والكرة.

مشكلات تعوق التربية:

الإعلام:

في هذا الجانب نتكلم عن الحد الثاني لسلاح الإعلام، لنوضح بعض أضراره العظيمة الأثر في شخصية الناشيء المسلم.

بالنظر إلى واقع ما يعرض على شاشات التلفاز العربي يتضح لنا صورة الواقع التطبيقي الفعلي وينقسم ما تقدمه تلفازات الوطن العربي من أفلام الكارتون والمسلسلات إلى قسمين:

1- أفلام كارتون أجنبية مدبلجة أو حية، مسلسلات أجنبية.

2- مسلسلات عربية وبعض أفلام كرتون عربية.

ومعظم الأفلام من إنتاج "والت دزني" والشركات الأمريكية أو الشركات الفنية اليابانية، فهي صممت لأطفال غير أطفالنا، وبعقلية غير عقليتنا...

ومكمن الخطورة فيما يقدم من أعمال أجنبية هو أنها تهدف إلى السيطرة والهيمنة الفكرية والثقافية على عقول الصغار، وبالتالي يتحقق غزو ثقافي وهو من الوان الاستعمار[1].

بل إن الضرر أكثر عمقاً، لأنه يختص بجانب العقيدة، ففي استطلاع تم في أحد المؤسسات التربوية حول أثر ما يشاهده الأطفال من برامج على عقيدتهمن لوحظ أن الطفل بمثابة حصالة تودع فيه القيم والمفاهيم التي تؤثر بشكل سحري وسري على الشخصية.

فتلقيت أسئلة عن حقيقة وجود ملك أو وحش يحرك السحاب ليسقط المطر!! وعن وجود قوة للشمس تجعلنا نتوجه إليها عند الشدائد! وهل صحيح أن شرهان..

1 - مجلة التربية العدد 107.

شخصية عرضت في أحد برامج الأطفال تسبب خطواته حدوث زلزال؟؟ وغيرها من السموم التي تركزت وتجمعت في الأذهان الصغيرة.

وإذا ما راقبنا أثر التلفاز على أخلاق الطفل المسلم، وجدنا الخلاف والصراع والمكائد قائمة بين "توم" و"جيري".. والعم بطوط وبندق وغيرها من الشخصيات التي يدور الصراع بينها على الكنز والمرأة..!!

ويتخلل البرامج اللقطات البذيئة -المصغرة- فتعرض مثيلاتها في برامج الكبار.. يقول صاحب كتاب "الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز" مروان كجك: "التلفاز يؤدي إلى نشر مبادئ ساذجة بعيدة عن الواقع وكل ما يقدمه لا يتعدى سطحيات المعرفة"... بل إن التلفاز يسري ضرره في سلوك الطفل حتى في سن المراهقة والشباب، لكثرة المثيرات المعروضة على الشاشة، فلكل أنثى رجل يحبها، وملامح محددة لهذه العلاقة.. يعزز هذه المشاهد الموسيقى التصويرية والأغاني التي تحوي كلمات لو تلفظ بها الناشئ دون لحن لاعتبرناها وقاحة..! فالتلفاز والسينما.. المجلة المائعة.. القصة المثيرة، والأغاني الرقيقة تلقي بالانحلال والعهر والفضائح.. فيصل الأبناء والبنات إلى نتائج لا تحمد عقباها...

مما سبق ينبغي على المربي أن يرقب تأثير هذا الضيف الثقيل في هذا الوصف تلطف له على المنزل فيحد من شروره ويقبح أفعاله وينشر الوعي بأضراره لتصحيح مفاهيمه..

تسمم الأفكار وغسيل المخ:

نعني بهذه المشكلة غسل وإزالة الهوية العربية الإسلامية من أدمغة المسلمين لتحل بدلاً منها هوية غربية صهيونية تهدم المجتمع الإسلامي من الداخل، ويتحقق هذا الهدف باستقطاب عقول غربية مسلمة إلى الخارج، وجذب أنظارها ببريق الغرب لإحلال مفاهيمم في هذه العقول، فتعود لمجتمعاتها بعقل غير الذي ذهبت به.. ومن الغفلة التي غرق الناس فيها تهافتهم على دفع الأبناء إلى المدارس الأجنبية لبريقها الجذاب، دون النظر أو الالتفات إلى معاولها الفتاكة، فينشأ جيل بمفاهيم وعادات

وعقائد مغلفة بطابع عربي- لوجود المدارس في مجتمع عربي- وهي أبعد ما تكون عن العروبة والإسلام.

الصحبة السيئة:

كما يقال دائماً "الصاحب ساحب" ورحم الله من قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي..

***

فالصاحب الفاسد هو عون على الفساد، والولد ذكراً أو أنثى إذا كان خاوي العقيدة، فارغ الخلق، يخالط الأشرار فلا بد أن ينتهي إلى مصير مخز له ولأهله، فهو عائق عن الهدى، معاون على الضلال.

فإذا اهتم الوالد أو المربي بتأمين الرفقة الصالحة دونما إجبار أو امر فقد حقق الكثير وأزال عن عاتقه عبئاً عظيماً.. ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان: 28- 29).

ثمرة التربية:

بناء شخصية مسلمة، قوة فاعلة في واقع الأرض، شخصية متوازنة لا تجرفه كل نظرية جديدة يسمعها حتى يزنها بميزانه، من سماته ا لبارزة الحب والقدرة على الحب، فيحب لأخليه ما يحبه لنفسه، ليس بينه وبين الناس حواجز، ومع ذلك لا يزعجهم برفع الحواجز، يعلم حدود حريته.. شخصية إيجابية مستقلة، لا تعكر صفوه شبهات، ولا يحد من إيجابيته مخاوف..

شخص يبذل طاقته كاملة لعمارة الأرض لأن بصره وحمله معلق بالسماء.. يعمل في حياته ما يأمل أن يبقى عليه في آخرته.. وباختصار.. الثمرة هي (إنسان رباني)...


الفصل السابع
المرأة وتحديات العولمة

نعني بالعولمة هنا كل المستجدات والتطورات التي تقوم على دمج سكان العالم أبيضه وأسوده فقيره وغنيه في مجتمع عالمي واحد على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ولعل الغزو الثقافي أو قل الهجوم الثقافي هو أبرز وأخطر هذه العوامل وتلك المستويات حيث تشن قوة سياسية أو اقتصادية حرباً على المبادئ الثقافية لشعب من الشعوب أو امة من الأمم، لتحقق أهدافها من خلال التحكم في مصير هذا الشعب وتطوره وازدهاره.

والحقيقة أن الغزو الثقافي يختلف اختلافاً بيناً عن التبادل الثقافي، فالتبادل الثقافي نعني به التفاعل الثقافي الذي يعبر عن ضرورة تحتاج إليها الشعوب، فكل شعب من هذه المعمورة هو بالضرورة بحاجة قوية إلى ثقافة الشعوب الأخرى ولا غنى له عنه.

وكما نعلم بأن وسيلة العولمة الرئيسة هي وسائل الاتصال والمعلومات يستكمل من موضوع (المرأة المسلمة والعولمة الثقافية).

لذلك فالعولمة لها آثار خطيرة على المرأة، وقد بنيت إحدى الباحثات الألمانيات هذا الحظر فيما يأتي (كريستينا فيشتريش) من كتاب المرأة والعولمة.

وحيث أن هذه التقانة يمتلكها بشكل ممتاز القطب المهيمن (أمريكا وحلفاؤها في الغرب) في ظل النظام العالمي الجديد، تحتم أن تنتقل الاتجاهات والظواهر الثقافية لهذا القطب إلى العالم أجمع.

وهكذا بدأت تغزو مجتمعاتنا، شيئاً فشيئاً، مفاهيم جديدة وأشكال عيش مستحدثة، في حلل براقة جاذبة يصممها جيش من المختصين في الإعلام وعلمي النفس والاجتماعن والهدف الأساس تنميط العالم في قالب واحد يمكن اقتصادياً الشركات العابرة للقارات من تصريف منتجاتها بيسر وسهولة ويمكن سياسياً القطب المهيمن من استرقاق العقول والشعوب والاستحواذ على ثرواتها.

وأمام هذا الغزو، الذي فيه الكثير من المفاهيم وأنماط العيش المخالفة، جملة وتفصيلاً، للكثير من المعتقدات والتعاليم الإسلامية، كيف غدا واقع المرأة المسلمة؟

كأي شعب مهزوم تأثرت المرأة المسلمة، عن وعي بذلك أو عن غير وعي، بثقافة "وحضارة" المنتصر.

وفي اعتقادي أنه مرت سنوات عجاف بدأت المرأة المسلمة فيها تتأثر شيئاً فشيئاً بتلك المفاهيم الوافدة، رُصِدَ ازدياد ملحوظ في نسبة انتساب الفتيات المحجبات إلى الجامعات، ودخولهن سوق العمل. اللهم إلا فئات قليلة جداً ممن يمتلكن الوعي الديني والعلمي، أما عامة النساء فانقسمن إلى قسمين: قسم استجاب وبقوة لتلك المفاهيم الوافدة، بخيرها وشرها، واعتبرها المدخل الرئيس للتقدم والتحرر، وقسم أبدى ممانعة شديدة لكل هذه المفاهيم، بخيرها وشرها أيضاً معتبراً إياها كفر وفساد.

ولم تكن ممانعة القسم الثاني بأقل خطورة على واقع المرأة المسلمة من استجابة القسم الأول إذ أن هذه الممانعة كانت منطلقة من تعصب وتحجر، ليس إلا، فلم تستطع التمييز بين ما لا مانع من الأخذ به وما لا يجوز أخذه، كما ولم تستطع أن تقابل الحجة بالحجة، مما جعل الكثير من فتيات الأجيال الصاعدة تميل إلى الاقتداء بالقسم الأول من النساء.

واستمر هذا الواقع حتى انتصار الثورة الاسلامية في إيران التي استطاعت أن تقدم نموذجاً جديداً عن المرأة المسلمة. نموذجاً يستمد أفكاره ومفاهيمه وحركته في الحياة من منظومة عقائدية واضحة ومن النموذج الأسوة لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) نموذجاً يمتلك الوعي الديني والثبات العقائدي ومنفتح على الحضارة الإنسانية وعلومها في آن.

لقد استطاعت المرأة المسلمة، أن تستحضر إلى الأذهان النموذج المشرق للمرأة في صدر الإسلام، اندفعت أخريات للمشاركة بفعالية في الأنشطة الاجتماعية لمؤسسات المجتمع المدني. تلك المرأة التي لم تتنكر لدورها الأنثوي داخل الأسرة ولم تهمل دورها الإنساني كخليفة لله على وجه الأرض مسؤولة جنباً إلى جنب مع الرجل عن تنمية مجتمعها وصونه، آخذة بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة، الآية71).

وسريعاً ما تأثرت بهذا النموذج النساء والفتيات، اللواتي يملكن الوعي الديني والعلمي، في سائر المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية:

- فانتشرت ظاهرة الحجاب بشكل واسع أذهل جميع الداعين والمنظرين للعولمة الثقافية وخالف توقعاتهم.
- ورُصِدَ ازدياد ملحوظ في نسبة انتساب الفتيات المحجبات إلى الجامعات، ودخولهن سوق العمل.
- واندفعت أخريات للمشاركة بفعالية في الأنشطة الاجتماعية لمؤسسات المجتمع المدني.
- وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن الأصالة الإسلامية الكامنة في وجدان الأمة الإسلامية كافية، في حال انبعاثها من جديد، إلى تحويل تأثير العولمة الثقافية الأصالة الإسلامية الكامنة في وجدان الأمة الإسلامية حولت تأثير العولمة الثقافية من السلب إلى الإيجاب.

تحديات تواجه المرأة المسلمة:

ولا يعني ذلك ان العودة إلى الجذور كافية وحدها، لحفظ مكانة المرأة وتفعيل دورها في المجتمع، فما زال هناك الكثير من التحديات تواجه المرأة المسلمة، في زمن معولم سريع التغيُّر:

فعلى عاتق المرأة المسلمة، وقبل كل شيء، أن تسهم مساهمة فعالة في إزالة الركام الكبير من المفاهيم الخاطئة حول المرأة، الذي أنتجته عصور التخلف، باسم الإسلام.

ويقع على عاتقها أيضاً، أن تجسد النموذج المتوازن الذي يؤدي واجبه داخل أسرته، بحب وتفانٍ، من دون أن يكون منقطعاً عن دوره في العمل المجتمعي. وعلى

عاتق المرأة المسلمة، بصفتها المربية الأولى للإنسان، أن تحسّن من أدائها التربوي، فتخرّج للمجتمع أبناءً منفتحين وأصيلين في آن، أبناءً قادرين على مواجهة تحديات عالم سريع التغيُّر بشجاعة وثقة بالذات.

وضعية المرأة في زمن العولمة:

"ليست العولمة بالنسبة للنساء في كل أنحاء العالم عملية تجريدية على مسرح مرتفع، أنها حاضرة وملموسة".

لقد تبين بالكاشف أن العولمة ازدادت من أشكال اللامساواة والتفاوت بين الرجل والمرأة، فالسوق المالية العالمية هي رجالية وبيضاء ولم يقتحمها سوى ثلة من النساء، كما أن الأعمال الشاقة والقذرة مثل النسيج والتنظيف والطبخ والفلاحة والصناعة والرعاية والإدارة تقوم بها في معظمها المرأة وبأجور منخفضة وظروف عمل غير إنسانية.

تلخص الكاتبة الألمانية كريستا فيشتريش مأساة المرأة زمن العولمة كما يلي:

- زيادة التشغيل الهش ضمن علاقات إنتاج منخفضة الأجر وتحولها إلى أداة للخدمة في جميع أنحاء العالم.
- معايشة عالم استهلاك مفرط وعدم القدرة على تلبية الحاجيات.
- تنامي الواجبات الاجتماعية والبحث عن هوية جديدة ضمن إطار اجتماعي تزداد فيه الفوارق.
- التعرض إلى أشكال من العنف المرتبط بالجنس وتزايد المنافسة والطلب عليهن من طرف الشركات.
- استعمال جسد المرأة وصورتها في الدعاية والإشهار في ترويج وتسويق المنتجات الرأسمالية.
- تشغيل المرأة يتم بشكل نمطي وفي أوقات الحاجة وحسب المزاج وتحرم من إجازات الحمل والولادة والأمومة.

- عودة محافظة إلى الوراء بإسنادها الأدوار التقليدية والمطالبة بتكثيف الرقابة الأبوية.

ما تدفعه المرأة من ثمن هو ظروف عمل بائسة ورتيبة تفقدها الطاقة والصحة مع غياب الرعاية الاجتماعية وتتمتع بحقوق ضئيلة وأجر لا يضمن عيش كريم وتدخلها في تبعية جديدة وابتزاز المؤجر.

إن ما يطلبه السوق العالمية من المرأة هو فقط أن تكون "رخيصة ونشطة ومرنة" لكي تحصل على مركز عمل في قطاع الخدمات ولكن الغرض الحقيقي هو إنجاز خطة تكاملية نيوليبرالية تكسب النساء ككتلة سوق لا غير وتسطو على مكانتها القديمة وتقوم بتحويلها السريع نحو عالم الإنتاج والتبادل والاستهلاك.

إن العولمة تقذف بالمرأة إلى الخارج وبسرعة دون ضمانات وبلا رحمة ولا شفقة والمهم هو الاستفادة منها وتوظيفها في جعل الاقتصاد يزدهر والاستمتاع بمحاسنها في أروقة عروض الأزياء بدل الاكتفاء بدورها التقليدي وتحميلها مسؤولية اجتماعية والمحافظة على قيمتها ضمن ملامحها التربوية القديمة.

إن "المرأة المعولمة" تبحث عن هوية جديدة لها ضمن عالم ذكوري أشد ضراوة وتستخدم كاحتياطي متحفز بالنسبة إلى منطق رأسمال وتجاذبها آليات الإنتاج والاستعراض والترويج والاستهلاك. لقد عاد التقسيم القديم في العمل بين مهن للرجال ومهن للنساء ولكن ضمن منظور معولم جديد حيث تقوم المرأة بكل شيء ويجلس الرجل في مقعد الإشراف واتخاذ القرار بالطرد التعسفي وحصاد المحصول وجني الأرباح والمتع. لقد ارتفعت نسب تشغيل النساء في المصانع ومراكز التركيب والتوظيف إلى معدلات ضخمة ووجدت مهن نموذجية للنساء ونظر إليهن كجهاز تسخين نمو الاقتصاد إلى درجة أن البعض بدا يتحدث عن تأنيث التشغيل لكونهن يمتلكن أصابع حاذقة.

الغريب أن دخول المرأة إلى العمل في المصنع جعل رأس المال خفيف الحركة أكثر من ذي قبل لأن قوى الإنتاج هن شابات مرنات نشيطات ومطيعات صبورات مستعدات لقبول أي أجر والقيام بساعات عمل إضافية ولا يكترثن بالإنهاك والتعب وينتظرن حصة الاستقلال وزمن الراحة بعيدا عن العائلة والذي أحدث لديهن "تحولا ثقافيا كبيراً" كل ذلك يحدث والمرأة لا تقدر أن تتحول إلى معيلة للعائلة بل تكتفي فقط بجلب دخلا إضافيا لا يسد الرمق وذلك لأن الأجر الذي تتقاضاه لم يبارح الحد الأدنى. تعاني المرأة من الحط من الكرامة وذلك عن طريق الاستقطاع من الأجر والشتم عند الخطأ المهني والطرد التعسفي والإجراءات التأديبية في حالة تعرض موقع عملها إلى أزمة أو الإفلاس وغالب ما تجد نفسها كائنا غير مرغوب فيها وعبئاً ثقيلاً على المشغل أو المصنع لقد وقع تفقير المرأة من الكرامة في سبيل إخراج المجتمع من حالة الفقر ولكن الرابح هو دوماً شركات وهمية بارعة في الاحتيال والمتاجرة بآلام النساء.

"هكذا تتحول النساء إلى عاملات مؤقتات أو ثانويات لأسواق بعيدة دون حقوق، فهل ترضى الشرائع والأديان بهذا الجرم الذي اقترفته العولمة بحق النساء؟

المرأة والمساواة في الإسلام:

"يا فاطمة أحسني سلوكك لأن مكرماتك هي التي تشفع لك عند الله وأن أبك لا يغني عنك من الله شيئاً.

يعتقد البعض خطأ ذكوراً وإناثاً، أن القول بالمساواة بين الجنسين يؤدي إلى الإخلال بقواعد الإيمان وأن الانتماء إلى الإسلام على أي جهة كانت لا يؤدي بالضرورة إلى تبني خيار المساواة وينطلق أصحاب هذا الرأي من فكرة خاطئة عن نظرة الأديان إلى المرأة ويستندون إلى تصورات تقليدية من الإسلام تقلل من دور الأنثى وتجعله في مكانة منقوصة بالمقارنة مع الذكر. وهذا كله جهل لأن التعامل المستنير مع الإسلام والنظر إليه بتبصر وعقلانية يؤدي إلى استنتاج معاكس ويفضي إلى القول بأن مكانة المرأة مرموقة في حضارة اقرأ ودورها طليعي وحيوي وعلاقتها

بالرجل هي علاقة ندية سوية وتشاركية تفاعلية. إن النساء شقائق الرجال في الإسلام وتركيز البعض على نصيب الضعف في الميراث ومسألة القوامة يحتاج إلى تدبر وتأويل. لا سيما وأن حقوق النساء بما في ذلك المساواة جزء من حقوق الإنسان في الإسلام. ما هي المسلمات الذهنية عن الناس في حضارة اقرأ التي دفعتهم إلى تبني نظرة نفعية أداتية للمرأة؟ ما سبب تشكل الصورة الزائفة للإسلام عن المرأة؟ هل أن السبب هو التقاليد الفلسفية الماورائية الموروثة عن الإغريق والشرقيين أم أن الفتاوى الفقهية الظنية والتأويل الحرفية هي التي تقف وراء ذلك؟ كيف السبيل إلى نحت صورة إيجابية مساواتية في الإسلام؟

إن العودة إلى كتاب الثعالبي روح التحرر في القرآن تمكننا من الرد على هذه الإشكاليات والإقرار بأن استبعاد النساء وتحريم الظهور بين العموم على النساء واشتراط وضع ستار على الجسد باسم تجنب ارتكاب الفواحش وهتك الأخلاق قد كانت له أسوأ العواقب وأشد النتائج العكسية مثل التبديد وسوء التدبير عند الرجال والحرمان من الجمال والحصول على نماذج من النساء قاصرات غير قادرات على التصرف في بعض المكاسب الذاتية مثل ما ترثه من ثروات، يقول الثعالبي: "فهذه المرأة التي لم تعرف لأي شيء قط من الحياة، هل يمكنها أن تحسن التصرف؟ وهل يمكنها أن تعرف أي شيء عن العالم الخارجي؟ وهل يمكنها أن تدرك قيمة أو أهمية شيء ما؟".

هكذا يدعوه الثعالبي إلى تحرير "المرأة المسلمة" ويرفض الانزواء وشرط انفرادها بصحبة أحد المحارم ويحمل على منطق الوكالة والوصاية القانونية التي يمارسها عليها الرجل ويتناقض مع وجود الستر والإخفاء والحجب تفاديا للفتنية والشذوذ وسوء الآداب ويربط ذلك بالكشف عن الوجه وحسن تربيتها وإعدادها إذ يصرح حول هذا الموضوع: "لو كان التعليم الإجباري واقعاً مكتسباً لتمتعت المرأة بكامل حقوقها ولأدركت أنه لا وجود لأي نص يفرض عليها ستر وجهها ولا لأي نص يحكم عليها بالانزواء في بيتها كأنها في سجن ولعلمت أن من واجبها رعاية مصالحها ومصالح أبنائها والتفكير في مستقبلهم ومراقبة تعليمهم وتربيتهم وأنه من

الضروري أن تتمتع بحقها في احتلال مكانتها في البيت وأن تأخذ نصيبها من حقها في الحياة ونور الشمس على قدم المساواة مع الرجل.

يستدل الثعالبي على ذلك بأمور خمسة:

آيات الحجاب تنطبق على نساء النبي وتفيد الاحتجاب عن الأنظار وليس ستر الوجه وبالنسبة إلى سائر النساء لا توجد آية تفرض عليهن الخروج محجبات.

عادة ذم المرأة وستر الوجه عند النساء دخيلة على العرب والمسلمين وقد جاءتهم من الفرس واليونان والروايات الشرقية المنقولة إليهم عن الأمم المغابرة.

الحالة البيولوجية والنفسية تعرف بعض التوتر عند الحمل والمحيض والنفاس وتستوجب الانزواء المؤقت والعناية بالذات تصديقاً لقول الحبيب الكريم: "يا أسماء إن المراة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا" أي الوجه والكفين.

لا وجود لأي حكم شرعي يحرم على المرأة المسلمة إظهار وجهها بل إنه يحل لها ان تظهر بين العموم وتشتغل شرط التزام العفة وحسن الهيئة وإظهار الزينة للزوج.

إجبار المرأة على التربية والتعليم وسيلة حاسمة لتثقيفها وتوعيتها وشرط كاف لتمكينها من سلاح تدافع به عن حقوقها وتنهض بواجباتها، لاسيما وأن "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

النتائج التي انتهى إليها الشيخ الثعالبي تتمثل في ما يلي: "غن خلع ذلك الحجاب معناه تحرير المرأة المسلمة وإشهار الحرب على التعصب والجهالة ونشر أفكار التقدم والحضارة وصيانة المصالح العليا للأسرة والتراث العائلي" ثم بعد ذلك يجوز أن تكون المرأة إمامة على المسلمين وآيته في ذلك قول الرسول عليه السلام"أيها المؤمنون خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء".

كما تطرق هذا المصلح الزيتوني إلى حرية المعتقد عند المرأة وإمكانية زواج الرجل بغير المسلمة وذلك بقوله: "آية قرآنية تبيح أيضاً الزواج باليهوديات أو المسيحيات دون أن ينجر عن ذلك الزواج إرغامهن لا فحسب على الارتداد عن دينهن واعتناق دين أزواجهن بل أيضا على عدم ممارسة واجباتهن الدينية. أضف إلى ذلك أن الرسول صلعم قد أمر المسلم في أحاديثه الشريفة باحترام ديانة زوجته ومساعدتها

على إقامة شعائرها الدينية بكل حرية ومصاحبتها إلى أماكن العبادة إن اقتضى الأمر ذلك.

فهل يجوز لنا القول بأن الحجاب بالنسبة إلى المرأة هو مسألة شخصية وهو رمز ثقافي يرتبط بالهوية وليست له أية إيحاءات دينية؟ وألا ينبغي أن نرفض نزعه بالقوة كما يحدث اليوم؟ وهل من المشروع التأويل بأن الإسلام ينتصر إلى فكرة المساواة الاجتماعية والقانونية بين الذكر والأنثى في إطار التكامل والتساكن القائمة بينهما؟ إلى أي مدى يكون مشروع قيام حركة نسوية إسلامية أمرا ممكنا؟

يؤكد خليل عبد الكريم هذه الفكرة بقوله: "إن المرأة مخلوق سوى كالرجل لها كافة الجوانب مثله تماماً: العاطفية الوجدانية والعقلية والنفسية والروحية.. الخ، ومن حقها أن تعيش حياتها كالرجل مع مراعاة الفروق البيولوجية بينهما ولا يتصور أن مجتمعا يخالف ذلك يكون مجتمعا صحيحاً".

ينتصر شيخ الأزهر إلى الرأي التجديدي في الإسلام الذي يمكن المرأة من أن تتمتع بكامل حقوقها ويركز على الزواج والعبادة والتفقه في الدين ويبحث في تجويد النظرة إليها وإعطائها مكانة تليق بها في المجتمع مما يساعدها على أداء وظيفتها على أحسن وجه بخلاف التفسير التقليدي الذي يحط من شأنها. يرفع الإسلام عن المرأة كل أشكال الضغوطات والتحرشات ويخفف عنها التكاليف وييسر لها أركان الدين ويمنحها حقوق وحريات في إطار آداب العشرة مع زوجها تبدأ بأخذ رأيها في الزوج بحرية تامة وحقها في رؤية خطيبها قبل عقد القرآن وتعرج على شرعية مقابلتها وضيافتها للرجل في غياب زوجها وتنتهي بحقها في الاعتراض على طريقة مباشرة زوجها لها وطلب الطلاق وفصم عروة الزوجية إن كرهت الارتباط به ووجدت عنده عنة.

إن المرأة في الإسلام موضع تبجيل واحترام يصل إلى حد تمتعها بحق الدلال وإظهار الحسن والجمال ولكنها في الآن نفسه تقف جنباً إلى جنب مع الرجل في

طلب العلم وفي ممارسة العمل وفي زمن الحرب والدفاع عن الأوطان ووقت السلم وتنمية المجتمعات وترافقه في السراء والضراء.

إن الأخطاء التي وقع فيها المفسرون والتي جعلتهم يشكلون صورة دونية عن المرأة في الإسلام هي:

- المماثلة بين وضع المرأة بالنسبة للرجل ووضع العبد المملوك بالنسبة إلى سيده.
- المشاكلة بين نساء الدنيا ونساء الجنة كما يرسمهن القرآن والأحاديث في صورة حسية ودنيوية.
- الحكم عليها من منظور المجتمع البطريوركي ومكانتها من جهة منظومة القرابة بمركز السلطة.

فمتى نتوقف عن اعتبار وظيفة المرأة هو مجرد إرضاء رغبات الزوج وخدمة أولي الأمر في المجتمع؟ وألا ينبغي أن نؤهلها لكي تكون قادرة على الرفض والمقاومة وزعزعة أركان التصورات التقليدية والمجتمع البطريوركي؟

هناك فرق شاسع بين تكريم المرأة في النصوص الأصلية ومنزلتها في عهد التأسيس وفي التجربة النبوية وبين تحقير المرأة من طرف بعض الفقهاء والتقليديين ووضعها القانوني والاجتماعي المتدني في عصور الانحطاط وينتهي خليل عبد الكريم إلى القول: "إن الإسلام ليس مسؤولا عن تلك غير الصحيحة التي تشكلت عبر مصادر لم تستمد منه مباشرة، حتى الكتب التي يؤلفها مسلمون يوصفون بالحماس لدينهم فإن ما تحفل به لا يكون بالضرورة ملزما للإسلام أو حجة عليه، لأننا نعتقد أن مشكلة المرأة في الوطن العربي هي جزء من مشكلة هذا الوطن كله والذي يتناول مشكلة المرأة بالحديث أو حتى بالبحث والتمحيص لا يكون تناوله بعيداً عن الأزمات التي تحيط بهذا الوطن حتى وإن حاول أن يبدو موضوعيا أو محايداً.

القرار يحرر المرأة فيتحدث عن الوضع المتدني في الجاهلية وكيف نهض بها القرآن فاعترف بإنسانيتها، وإنها ليست مجرد أنثى، ولكن إنسان لها كالرجل

حقوق وعليها واجبات فهي بهذا تتساوى معه في التكاليف والثواب والعقاب، كما أن الآية الفريدة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تفتح آفاق المجتمع، والعمل فيه أمام المرأة كالرجل سواء بسواء.

مجمل القول أن الإسلام يدعو إلى احترام خلقة الطبيعة وسنن الكون ويدعو إلى الاحتشام والعفة وينفي وجود صراع وجودي في التكوين بين الذكر والأنثى لأنهما ينتميان إلى النوع البشري ولكنه يلعن الفجور وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال ويجعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكاملية تعادلية لاسيما وأنه سكن لها وهي سكن له ويعطي للمرأة كامل حقوقها بشكل متساو مع الرجل وخاصة الحياة والحرية والملكية والمسؤولية القانونية وإدارة الأعمال، لكن العولمة وما حملته من مآسي أثرت على وضعية المرأة تأثيرا كبيراً وجعلتها تتساوى أو تفوق الرجل في المعاناة ومعايشة أوضاع بائسة على مستوى الأجر والحقوق المدنية مثل الرعاية والسكن والتنقل. ألم يقل الرسول عليه السلام "الجنة تحت أقدام الأمهات" وذكر في المأثور أن المرأة نصف المجتمع إن أعددتها إعدادا حسناً فكأنك أعددت جيلاً كاملاً.

اللافت للنظر أن خروج المرأة للعمل ضاعف العبء الذي ينبغي أن تتحمله وزادها مشقة جديدة إلى جانب مشقة تدبير شؤون المنزل والعناية بتربية الأطفال وهو ما عقد وضعية العائلة ودفع الرجل إلى تقاسم هذا الانشغال معها دون أن يوفق هو في الداخل وأن تحقق هي انجازات كبيرة في الخارج، وما نلاحظه او وجه المرأة العربية يوحي بالتحديث ولكن ساقها مازالت غاطسة في وحل التقليد وأن هموم الوطن والأمة ومشاكل الاستبداد والاستعمار والفقر والمرض والبطالة تؤثر بشكل كبير في وضعيات النساء العربيات وتجعلهن يكابدن العديد من الصعوبات التي تمنعهن من الحلم بنيل أبسط الحقوق.

إن مصادر حقوق النساء يحدث عند العرب باسم الأولويات أولوية التحرير والتنمية والديمقراطية وحتى عندما يقع تبني مطالب المجموعات النسوية فإن ذلك من اجل التوظيف السياسي والاستثمار كقوة بشرية في العملية الانتخابية ومن أجل تجميل المشاريع الإيديولوجية الفاشلة يمينا ويسارا.

إن نضال المرأة في سبيل تمتعها بكامل حقوقها لا ينبغي أن يكون على حساب استضعاف الرجل والمس من حقوقه أيضاً وإنما يقتضي احترام كرامته والتعامل معه كحبيب وشقيق وابن وزوج واب وصديق.

إن الإنسان هو الذي يحدد ماهيته ومصيره وذلك بسبل اختياراته ونوعية أعماله وأن المرأة هي ما تصنعه بنفسهان فإن أرادت لنفسها الضرر والدونية تكون سببا للفساد وإن سعت إلى الصلاح ولانماء كانت مهجة الحياة وفردوس الوجود المشرق على الدوام وأم الإنسان معمر الكون والمستخلف في الأرض. فهل ينبغي تأهيل النساء من أجل الاندماج مع المحيط الخارجي أم يجب تأهيل الرجال من أجل الاعتراف بالمساواة والمشاركة الوجودية مع النساء؟ ألا ينبغي أن تتأسس حركة نسوية إسلامية من أجل عولمة بديلة تعمل على إنهاء كل أشكال التمييز والعنف والاستغلال؟ كيف يتحول خروج المرأة إلى قوة تغيير للمجتمع؟

فنعلم معاً في سبيل تخليص الذهنيات من النظرة الدونية إلى المرأة ولنفسح لها المجال حتى تساهم في التقدم والسمو بالوطن والإنسانية إلى أعلى مراتب المجد والتحضر.

لقد استخدمت العولمة المرأة كوسيلة للدعاية وأهملت المرأة كعقل وكيان إنساني محترم، ولا تكتمل رؤية الكون والحياة بدونهان وحولت العولمة إلى سلعة استهلاكية، بحيث شوهت كثيراً من المعالم النيرة لهذا الكائن الأنيق والجميل الذي يكتنز الحب والحنان والأمومة والعاطفة.

والعولمة بخيرها وشرها قدر لا مفر منه ولن يستطيع أحد الحؤول دون توقف المعلومات التي سوف تؤدي إلى إحداث تغييرات في آفاق الوعي لدى الأفراد، فهؤلاء يشاهدون العالم وهم في غرفة الجلوس، ويستطيعون مشاهدة جوانب مختلفة من

العالم والحضور ذهنياً في أنحاء مختلفة منه في آن واحد، وما عاد باستطاعة الإنسان أن يبقى معزولاً، فلا نستطيع عزل المرأة عن العولمة ووضعها في قفص حديدي يحجبها عن العالم، فالعولمة حاضرة في كل الأرجاء وليس باستطاعتنا أن نغلق أبوابنا، فهي تتسلل إلينا عبر الأثير على شاشات التلفاز والفضائيات، نشاهدها ونلمسها في كل مكان، في الموسيقى وعلب السجائر والملابس والمواصلات وحركة السوق والأشربة والأطعمة والتكنيك.

وجل ما ركزت عليها الورقة هو تجليات العولمة في حياة المرأة والأسرة، واستخدام العولمة للمرأة كسلعة في السوق الأمر الذي ينتقص من مكانة المرأة وتحويلها إلى كائن سطحي يلبي اللذائذ والرغبات، ومع كل ذلك كان لا بد من إبراز الفوائد الكبيرة التي تجنيها المرأة من العولمة خاصة إذا ما تم الاستغلال الأمثل للجوانب المضيئة والمفيدة في العولمة والتي تعتبر نقطة تحول كبرى في تاريخ البشرية، هذا ويتكون البحث من النقاط التالية:

1- العولمة والتفكك الأسري.
2- المرأة كسلعة للجنس والإثارة.
3- العولمة والتغير في حياة المرأة.

أولاً-العولمة والتفكك الأسري:

العولمة ببعدها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، هي ضم العالم تحت مظلة واحدة تطال كل فروع الحياة ومنها المرأة، فالمرأة تقف في قلب المجتمع وهي المكون الرئيسي للأسرة فبدونها يتعذر الحديث عن الأسرة على اعتبار أن الأسرة اللبنة الرئيسية للمجتمع ويتعذر وجود أسرة سليمة دون زواج شرعي ورابطة دم وتربية الأبناء وسكن يعيشون فيه في ظل تساكن اجتماعي وثقافي ومعيشي وعلاقات عاطفية وإنسانية حميمة.

ومن أجل تغيير المجتمع في عصر العولمة على الطراز الغربي، لابد من تغيير الأسرة أو المرأة على وجه الخصوص، فإذا كان لا بد أن تنشأ الأسرة لدينا على زواج

شرعي معترف به من ناحية شرعية واجتماعية، فإنه ليس بالضرورة لديهم أن يكون زواجاً شرعياً ويمكن تكوين الأسرة على أساس مجموعة مكونة من الأشخاص يعيشون تحت سقف واحد حتى في ظل انعدام المرأة والأولاد ورابطة الدم، ويرتكزون على مصالح اقتصادية واجتماعية وثقافية معينة، وليس بالضرورة أن تكون الأسرة شرعية تشتمل على رجل وامرأة وقد تتكون من رجال دون نساء أو نساء دون رجال.

إن هذا المفهوم للأسرة يصب لصالح الشاذين جنسياً من النساء والرجال، وقد ينطبق إلى حدٍ ما على المؤسسات الرعاية التي تقدم خدمات اجتماعية جليلة للأطفال وأفراد المجتمع.

فتعميم هذه القيم الأسرية والاجتماعية تحت مظلة العولمة يضر كثيراً بالقيم الإنسانية النجيبة، وتوجه ضربات مؤلمة للتجمعات البشرية، فتعطيل الأسرة وسحب وظائفها مثل وظيفة التناسل والتزاوج الشرعي ما بين الرجل والمرأة، وتحويل هذه الوظيفة التناسلية إلى مجاميع شاذة من الرجال والنساء لا نجبون أطفالا وتعميم ما اصطلح تسميته بالزواج المثلي يعتبر خطراً على المجتمع البشري، إذا ما استفحلت هذه الظاهرة والتي بدأت تتفشى في المجتمعات الغربية، والطامة الكبرى أن بعض البلدان الغربية مثل الدانمارك وفرنسا وهولندا وأمريكا بدأوا يشرعون للزواج المثلي بطرق قانونية لا يجد فيها الأفراد حرجاً في ظل حماية المؤسسات والقوانين، علاوة على العادة المتعارف عليها بالبغاء والتي أصبحت اليوم موضة قديمة في زمن العولمة.

إن البغاء والذي ظل مألوفاً لفترة طويلة في المناطق الحمراء أصبح شرعياً إضافة إلى فرض ضرائب القيمة المضاف على تلك الخدمة، وهذا العام (2001م) أصبحت هولندا أول بلد في العالم يعطي الحق في الزواج بين الجنس الواحد ومساواتهم في الحقوق مثل الزواج بين الرجل والمرأة، كما وافق البرلمان على (قتل الرحمة) وجعله قانوناً للبلاد، وفي أواسط المثليات اللواتي لديهن أطفال، فإن الأب البيولوجي للطفل أو حتى والديه يكون لديهم الحق القانوني أكثر من الشريكة

التي قامت بتربيته، ويقول وابيك إن المؤسسة القانونية الوحيدة التي يمكن أن تحميهم هي مؤسسة الزواج لأنها ملزمة للطرف الثالث.

وفي نظر القانون فإن الزواج هو أكثر الروابط الأسرية بعد رابطة الدم. فالتفكك العائلي والشذوذ الجنسي وتعاطي المخدرات والعنصرية والفردية والاغتراب والأمراض النفسية وانتشار مساحة الجريمة المنظمة والفساد الأخلاقي، كلها تعابير على أن هذه المجتمعات المتقدمة التي تصدر إلينا قيم العولمة والتحرر والليبرالية بحاجة إلى إعادة النظر فيما تصدره إلينا، ويتوجب أن نتعامل باتزان مع كل ما يصل إلينا.

فنحن شركاء في هذا العالم لابد أن نفرق ما بين التبعية الملطقة والتفاعل الحضاري والاستفادة من الإيجابيات. لقد جسمت الحداثة الغربية مسعى لتأكيد دور الإنسان في نحت مصيره وحقه في استخدام عقله من أجل تحقيق سعادته وقد اقترنت بأيديولوجيا العقلانية والتقدم وتجاهل العامل الروحي ومحاربة التقاليد. ولئن كان للحداثة منجزاتها على صعيد تحرير العقل والتقدم العلمي والتقني وإرساء حقوق المواطن وترسيخ فكر حقوق الإنسان فقد رافقتها سلبيات عديدة من بينها تفكك الروابط العائلية والأزمة الروحية والأخلاقية وهي سلبيات بصدد إنتاج ردود فعل معاكسة تنزع إلى تأكيد القيمة المحورية للعائلة وأهمية البعد غير العقلي في الإنسان.

لقد أكد عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1864- 1920م) أن الأخلاق والعقيدة البروتستانتية المسيحية هي التي خلقت المجتمع الرأسمالي المتطور، فهذا المجتمع الرأسمالي المتطور يرتكز على العقلانية ويتقاطع مع السلطة الكاريزومية والسلطة التقليدية والتي تعتمد على الانفعالات والعادات والتقاليد والولاءات الشخصية والعشائرية والأسرية والقبلية، فالسلطة العقلانية هي رمز للتقدم والتحضر والكفاءة والعلم والعدالة والمساواة.

وهناك ملاحظة لابد من الجهر بها، هو أن رهط المفكرين أكدوا، أنه مع كل تطور حضاري، يتواكب انهيار أخلاقي، والمرأة المتعلمة والمتحضرة تدفع ثمناً

لتطورها وتحضرها وتحررها بألوان مختلفة منها ما هي مادية، ومنها ما هي روحية وصحية ونفسية، إذاً: هل القيم والأخلاق الغربية كلها فاسدة بما فيها العولمة؟ سنكون ظالمين للاعتدال، إن اعتقدنا أن القيم الغربية كلها فاسدة، فهذا حكم ظالم، وفي الاتجاه المعاكس سنكون مجانبين للصواب، ان اعتقدنا أن قيمنا وأخلاقنا وعاداتنا العربية والإسلامية كلها سليمة لا تعتروها عورات، وعن انحلال المرأة الغربية، يقول المفكر محمد جابر الأنصاري:

نأتي كسياح إلى الغرب، ولا نحتك إلا بذلك القطاع الهامشي السطحي من التجارة السياحية ومن السياحة الإغرائية التي تجذبنا، وتغرينا نحن لا الغربيين ثم نعود نتحدث عن انحلال المرأة الغربية واستهتارها! وننسى ملايين النساء الغربيات العاملات في المصانع طوال النهار، لأننا لا نشاهدهن في سياحتنا الليلية! ننسى المرأة الغربية العاملة... ننسى المرأة الغربية المتعلمة والمفكرة والملتزمة بتربية أولادها، متناسين أن الغرب يؤمن بالسلوك الصريح غير الموارب وأنه يضع أصغر رذائله تحت المجهر ويمارسها في العلن ولا يستحي منها ولا يهمه أن يمارس (تمثيل) الحياة الفاضلة أمام الآخرين..

وهناك حسنات للعولمة لا يمكن طمسها أو تجاهلها، ولا مبالغة في القول بأن عالماً جديداً يتشكل مع ظاهرة العولمة، يترافق مع ظهور فاعل بشري جديد، يعمل عن بعد وبسرعة الضوء أو الفكر بقدر ما يستخدم طرقات الأعلام السريعة والمتعددة، أو يتعامل مع شبكات الاتصال المعقدة والفائقة، إنه الإنسان التواصلي الذي تتيح له الأدمغة والتقنيات الرقمية التفكير والعمل على نحو كوكبي وبصورة عابرة للقارات والثقافات.

فالعولمة حولت العالم إلى قرية صغيرة، وساعدت البشر على التعرف على العالم والمناطق القصية، وأعطت شحنة قوية من التلاقح والتقارب الحضاري بين الشعوب في القارات والأقاليم المختلفة وعرفت الشعوب ببعضها البعض في العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات، وأعطت إمكانية في سرعة الاتصال والتنقل والتبادل التجاري والسلعي والمعلوماتي والمثاقفة والتأثير بثقافات وعادات وتقاليد الشعوب

الأخرى صوب مزيد من التشابه والتقارب في العادات والقيم والمعارف والنفسيات ومستوى درجة الوعي.. فأصبح العالم بين متناول اليد فعبر الصورة والهوائيات والانترنت ووسائل الاتصال الأخرى يتجول الإنسان في العالم وينهل الكثير من المعلومات والقيم ويكون رأياً وثقافة لما يدور حوله من صراعات وتغيرات وتبدلات .. فالحرية والديمقراطية والعقلانية وحقوق الإنسان والمرأة والمواطنة المتساوية تلقى رواجاً عالمياً لما تمثله من قيم إنسانية محمودة تساعد البشرية بصورة عقلانية في تقرير مصيرهم بأنفسهم بعيداً عن السلطات القمعية والجائرة التي تتحكم بمصير الإنسان الصغيرة منها والكبيرة، فحسنات العولمة كثيرة منها:

- انتقال عناصر الإنتاج إلى الدول التي يمكن أن تستخدمها بكفاءة.
- اتساع السوق أمام السلع والخدمات بما يسمح للاستفادة منها.
- توفير الاستثمارات اللازمة للتنمية في الدول النامية.
- وفرة المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات السليمة لإدارة الدولة.
- المنافسة التي تؤدي إلى تحسين كفاءة استخدام الموارد على المستوى المحلي.
- انتشار الوعي السياسي والديمقراطي.
- تقليل المشاكل السياسة بين الدول المتعاملة معاً في ظل العولمة.

الاستفادة من الثقافات الأجنبية، وإحياء الثقافات الوطنية لحماية نفسها من مخاطر العولمة.

والملفت للنظر أنه مع سرعة إيقاع العولمة تحدث هزات مؤلمة في حياة الأسرة وتبرز إلى السطح ظاهرة شيوع الطلاق والتفكك الأسري، مما يزيد من الانكسارات في حياة المرأة والأطفال والأزواج. والمظهر المثير لهذا التفكك هو فقدان الأسرة المتزايدة لقدرتها على الاستمرار كمرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة بسبب نشوء مصادر جديدة لإنتاج القيم وتوزيعها وفي مقدمتها الإعلام المرئي، ومع أنه من الواجب التنبيه إلى أهمية الاضمحلال التدريجي للسلطة البطريكية (الأبوية) في الأسرة، وإلى النتائج التي يمكن أن تنجم عن ذلك على صعيد حريات الأفراد

وانطلاق طاقاتهم، وعلى صعيد شعورهم بحقوقهم إلا أن ذلك الاضمحلال لم يترافق مع الأسف، مع صعود نظام القيم الاجتماعي، بل مع انهياره، الأمر الذي عرض السلطة الأبوية المتقهقرة، والثقافة التقليدية السائدة في امتدادها، بحالة من الاستباحة والتسيب القيمي تجعل الفرد أعزل من أية دفاعات، بل مصاباً بمرض فقدان المناعة القيمية المكتسبة.

فالعولمة تضرب العائلة التقليدية في الصميم وذلك بإشاعة الفردية والأنانية والحرية المطلقة والنفعية وانخفاض درجة الترابط الأسري وضعف العلاقات الأسرية الحميمة بين أفراد الأسرة ومن جراء تفكك العائلة الممتدة البطريكية يترك فراغاً عاطفياً ووجدانياً في الأسرة، وتنحدر إلى الأسفل العلاقات العائلية التضمانية، علاقات الحب والإخاء والتساكن المؤازرة والمعاشرة في حين لا تستطيع المؤسسات الاجتماعية الحديثة سد هذا الفراغ المهم، أو ترميم هذه الأضرار الأسرية والعافطية التي لحقت بالأسرة، ومن أهم المظاهر السلبية التي لحقت بالأسرة في زمن العولمة نجملها على النحو التالي:

1- التراجع التدريجي للعلاقات الأسرية والعاطفية الجياشة وتلاشي ما يسمى بـ(الأمن العاطفي)، عند المرأة والرجل وطبيعة علاقاتهم مع الأطفال وبقية أفراد الأسرة والآخرين.
2- زيادة معدلات حالات الطلاق وخصوصاً في المواقع الحضرية (المدن).
3- تراجع أدوار الأسرة والمرأة خصوصاً في تربية الناشئة (خاصة المرأة العاملة) حيث ينخفض اهتمام الأطفال، وتعلقهم بأمهاتهم، والعكس صحيح، وهذا يؤثر على مسألة العاطفة الأسرية والترابط العائلي، حيث يتم الارتكاز على المربيات أو وضع الأطفال في مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الحضانة، الروضة، المدرسة..) والتي لا يمكن أن تحل محل الأسرة أو محل الأم في تنشئة الأطفال.
4- ضعف درجة التماسك الأسري يؤدي لا محالة إلى تسلل السلوكيات المنحرفة في الأسرة ومن ثم تهدد هذه السلوكات الأمن الاجتماعي.

5- تزايد معدلات الطلاق وخاصة في إطار الأسر المتعلمة أو في صفوف المرأة المتعلمة، وسهولة الزواج التلقائي بعيداً عن المسؤولية العائلية والأخلاقية والقيمية.

6- زيادة حدة الاستهلاك غير العقلاني في إطار الأسر المقتدرة، حيث يتم التبذير بالنقود واللهث وراء المشتريات واقتناء الجديد في عالم الموضة والأدوات المنزلية والترفيهية وأدوات التجميل، وخلق وعي استهلاكي زائف يلقي بضلاله على الأسرة والمجتمع لمزيد من التميع والفوضى والتبذير وبعيداً عن الحصافة والتدبير المنزلي السليم.

7- خلق وعي اجتماعي وثقافي زائف لدى المرأة عن الحرية والتقدم والتحضر إلى درجة من الإسفاف، فحرية المرأة لا تعني وضعها في موقع غير محتشم ولا تعني دوس كل القيم الاجتماعية التقليدية على اعتبار أنها رجعية فليس كل ما هو قديم رجعي وليس كل ما هو جديد تقدمي ومفيد.. فحرية المرأة ومشاركتها في التنمية، وجعلها عنصراً تنموياً حقيقياً هو أبعد بكثير من اللهث وراء فساتين الموضة واستخدام أدوات التجميل، والتفنن في طهي الأطعمة، وتحضير ألوان الأشرية، هي أبعد من مسألة الخروج من المنزل والذهاب إلى الجامعة أو الأسواق أو إلى مؤسسات الأشغال والحدائق وأندية التسلية والترفيه ومجالس اللقاءات النسائية.

إننا مع حرية المرأة ومساواتها بالرجل، الحرية التي تجعل من المرأة كائناً اجتماعياً محترماً له وزنه الاجتماعي ومكانته الاجتماعية، الحرية التي تبجل المرأة كعقل وفاعل اجتماعي مشارك في صياغة نسيج الحياة اليومية والحضارية للمجتمع.

يؤكد علماء الاجتماع في دراساتهم للمجتمعات التقليدية، أن من مسببات عدم تفكك المجتمعات التقليدية، التي ظلت متماسكة وقوية برغم محاولات تفكيك بنيتها التقليدية بكافة السبل والوسائل، وهو تمسكها بالدين والعادات والتقاليد الضاربة أطنابها في عمق ووجدان هذه الشعوب، وقد حالت دون تلاشيها وتفككها على عكس المجتمعات الهشة التي كانت من السهولة بمكان تفكيكها.

فالأمة اليابانية والصينية والكورية، تعد من الأمم المتحضرة اليوم في مجال العلوم والتكنولوجيا والمخترعات العلمية والتقدم الاقتصادي والعلمي والثقافي، حققت هذه المجتمعات طفرة نوعية في التحديث إلا أن المجتمعات لازالت تقليدية في عاداتها وتقاليدها وأخلاقها وسلوكياتها، فالمرأة في هذه المجتمعات محافظة تميل للنزعة التقليدية والأسرة متماسكة وقوية تقوم بأدوار ثقافية وتربوية وقيمية واجتماعية واقتصادية مؤثرة، فهم محافظون على قيمهم وتقاليدهم وعقائدهم وعلى نواميسهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية والعائلية في أفراحهم وأتراحهم.

فالعادات والتقاليد الحميدة التي تحافظ على بقاء وتماسك الأسرة والمجتمع من الانحلال والتفكك تعد قيمة أخلاقية وحضارية مفيدة في حين أن التفكك الأسري، وازدياد معدلات الطلاق وإهمال تنشئة الأطفال، وضعف أواصر المحبة والتعاضد الأسري تعد قيما غير مفيدة.. ولست بحاجة للقولن أن الدين الإسلامي والبنية التقليدية والثقافة والعادات والتقاليد والقيمن تعد الخط الدفاعي الأول للمجتمع من الاندثار والتهلهل في زمن العولمة التي نجحت في فرض قيمها واتجاهاتها في الصعد الاقتصادية والثقافية والسياسية وتتجه الآن صوب التأثير على المجتمع من الناحية القيمية والوجدانية والتذويقية والأخلاقية والتي تتصادم بعض قيمها مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع.

ثانياً- المرأة كسلعة للجنس والإثارة:

لقد وصف الشاعر الكبير محمد الفيتوري عصر العولمة بأنه: عصر الكآبة والحرية الزائفة، عصر انحطاط القيم والأخلاق والفساد بكافة أشكاله وألوانه وصوره في العالم، ففي هذا العصر: يحاول الأفراد أن يتغلبوا على الوحشة الداخلية والتجزؤ الفردي وافتقاد الهوية، والحب والبحث عن اللذائذ وعن طريق الصداقة والانتماء إلى عصائب الرفاق، وأبناء المدن يضيفون إلى ذلك العودة إلى الأطعمة الريفية أو البحث عن أصدقاء أوفياء يجدونهم لدى الحيوانات الأليفة والكلاب، أو تزيين بيوتهم بالنبات، أما الضيق المبرح فكثيراً ما يقاومونه عن طريق اللجوء إلى

الأدوية المهدئة أو على المنجمات أو إلى رياضة اليوغا وسواها، وكثيراً ما يدفعهم ضيقهم إلى أن يلقوا بأنفسهم في أحضان الكحول والمخدرات.

والعولمة تتجه صوب تنميط العالم على غرار الطراز الأوروبي في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والقيمن وتقوم في الضفة الأخرى، بتكسير الحواجز بين الدول والشعوب وتهديم الدول القومية والثقافات والعادات والقيم بجر هذه الشعوب إلى دائرة التبعية والتفكك والانهيار، بما يخدم المصالح الغربية.

فما يصدر إلينا هي ثقافة الآخر، قيم اجتماعية وأخلاق قد تتنافى احياناً مع قيمنا وأخلاقنا: معلبات تتضمن مواد مسلوقة جاهزة للاستهلاك وشركات إعلامية تتنافس لتقديم سلعتها للمستهلك في إخراج مثير يضعه تحت وطاة إغراء الخداع.

ولا يمكن الإحاطة بالعولمة، إن لم نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها **العملية الأولى:** تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة لدى جميع الناس، **العملية الثانية:** تتعلق بتذويب الحدود بين الدول.

العملية الثالثة: هي زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتماعات والمؤسسات، وكل هذه العمليات قد تؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة لبعض المجتمعات، وإلى نتائج إيجابية لبعضها الآخر.

وللعولمة أشكال اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية على النحو التالي:

1-العولمة الاقتصادية:

هو إخضاع العالم لسوق اقتصادية واحدة يتحكم فيها المركز (الدول الغنية) حيث يتم دمج اقتصاديات الدول ضمن إطار السوق العالمي، وفتح الحدود للبضائع والتداول التجاري دون جمركة أو إعاقة.

وإعادة هيكلة للاقتصاد العالمي صوب مزيد من الحرية الاقتصادية وخصخصة الملكية لصالح الشركات العملاقة أو جعل العالم سوقاً حرة مفتوحة للجميع. وعلى مستوى المعلومات ومجال من مجالات العولمة التي تعمل فيها سهولة انتقال المعلومات والحصول عليها من أي مكان في العالم عن طريق الانترنت

والفضائيات وسفر حتى الأفراد للحصول على المعلومات. وشموليتها نابعة من سعيها لتسليع كل شيء، وسرعتها تتجلى من خلال حركة القطيع الإلكتروني الذي يتدفق معلومات ومعرفة عبر اجهزة الكمبيوتر والستلايت والانترنت. وهي في الوقت نفسه تتسع لتمتد إلى 195 دولة خالقة حضارة عالمية واحدة من خلال ما تفرضه من أحكام وقواعد متجانسة تتجاهل الظروف الخاصة لأي دولة أو مجتمع، متناسية بذلك تمايز الهويات الثقافية والحضارية للشعوب.

2-العولمة السياسية:

تسعى العولمة إلى خلق أنظمة سياسية متشابهة، تستقيم على الفكر الليبرالي الديمقراطي وتكون في جوهرها مشابهة للأنظمة الاجتماعية والسياسية في أمريكا والبلدان الأوروبية، وتسعى إلى نشر المبادئ والقيم الديمقراطية الأوروبية وإلى تحديث الأنظمة السياسية بما يتواءم مع مصالح القوى العظمى والذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إضعاف الدول القومية لفسح المجال للشركات المتعددة الجنسية والمؤسسات المالية الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) في تنفيذ سياسات هادفة إلى ربط الدول الضعيفة بهيكلة الاقتصاد العالمي ولمزيد من التبعية في ظل عدم توازن القوى، فالدولة بسبب ثورة المعلومات والاتصالات تتجه نحو الضعف وأن صانع السياسة والقرار يفقد مع كل تقدم في هذه الثورة صلاحيات حقيقة وفعلية حتى وإن ظلت موجودة دستورياً وقانونياً.

ولذلك فالدولة في واقع الأمر تقع هذه الأيام بين مطرقتين: مطرقة تدق من فوقها، وهي مطرقة العولمة وثورة المعلومات والاتصالات فتضعف السيادة، وتخترق الحدود أو تقطع، وتتعرض الثقافة والاقتصاد والسياسة للغزو المنظم أو غير المنظم، ومطرقة تدق من أدنى إلى أعلى، منها تمرد الأقليات أو صحوة الأقليات من أجل حقوقها، ومنها أيضاً الفجوة الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة الاتساع بين أغنى الأثرياء وأفقر المحرومين، وهي الفجوة الجاذبة نحوها بشدة صحوة الأقليات وتمرد بعضها على السلطة المركزية، إذا لم يعد ممكناً حجب معلومات عن توزيع الثروة

في المجتمع، أو عن حجم الفساد في أجهزة الدولة، أو عن جوانب ظاهرة تعد جيوب الدولة وخصوصاً البطالة والبؤس والثقافة المخربة والخربة وجيوب مراكز حديدية للقوة، مثل المافيا وتجار المخدرات والمال الفاسد والدعارة العابرة للحدود.

3-العولمة الثقافية:

العولمة الثقافية، الهدف منها، خلق ثقافة عالمية واحدة أو متشابهة لجميع البشر، وهنا يتيسر للأقوى سياسياً واقتصادياً من تسويق سلعته الثقافية حتى وإن كانت سلبية إلى الشعوب الفقيرة والضعيفة ومن ثم تغيير القيم والعادات والتقاليد والأذواق تبعاً لما يريده المنتج ولما تقتضيه سياسة السوق مما سيؤدي إلى انهيار في الثقافة والقيم والعادات والتقاليد لصالح قوى السوق والثقفات الاستهلاكية السلعية.

فالقنوات الفضائية هي وسيلة من وسائل الاختراق الثقافي الذي يستهدف السيطرة على الإدراك واختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب الوعي والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية.. وتعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم وتوجيه الخيال وتنميط الذوق وقولبة السلوك.. وتكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع من المعارف والسلع والبضائع.

والعولمة الثقافية بطابعها الشمولي السلبي هي من أسوا أنواع العولمة، فما لا تستطيع أن تعمله العولمة السياسية والاقتصادية تقوم بعمله العولمة الثقافيةن فهي تهدد الهوية الوطنية والقومية والدينية واللغوية للشعوب الضعيفة، وتجعل الأفراد يتطبعون بالطباع الغربية بحسناتها وسيئاتها.. ففي كتاب: السيارة ليجزن وشجرة الزيتون ، يقول المؤلف: يجب أن يحول العالم إلى أمريكيين، كما يقول: إذا لم تستطيع تخريب بيته فاجعله في بيته كأنه غريب من التخريب إلى التغريب.

فماذا تقدم ماكدونالدز؟ لحم بطاطس وعيش وهو موجود في كل دول العالم، وهو من الإنتاج المحلي للبلاد، والعاملين عمالة محلية وهكذا، لكنه جزء

من طريقة الحياة الأمريكية، ويتفاخر الشباب بأنه اكل في ماكدونالدز وبيتزا هت، ولا يقدر أن يقول انه أكل فول وطعمية.

ففي العولمة الثقافية يتم تكييف الثقافة وهي المنتج الاجتماعي سلعة مثل السلع المادية تتداول في السوق يسودها الأقوى وبوسائل إيصال للمستهلكين ميسورة (القنوات الفضائية والإلكترونيات والحواسيب والانترنت وغيرها) بقصد نقل الأفكار والمبادئ ونشر المعلومات لمستوى الشيوع على جميع الناس ومن ثم صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها لزيادة معدلات التشابه والتجانس بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات في محصلة تبرز في إطارها رد على مستوى النفس بإمكانية تشكيل وعي وإدراك ومفاهيم وقناعات عالمية الطابع، لقد شاعت في الآونة الأخيرة ثقافة التسلية، على حساب الثقافة الوطنية والقومية والإنسانية وعلى حساب القيم والعادات والتقاليد الحميدة، فثقافة التسلية، ثثقافة تروج لها مؤسسات أمريكية متخصصة في شيوعها عبر المسلسل التلفزيوني ودعايات السلع الاستهلاكية والأغنية النمطية وكلمات وموسيقى يضاف إليها الخطاب السياسي المقطوع الجذور عن الواقع، المليء بالأكاذيب، ثقافة تخلق العزوف عن كل ما هو جدي وأصيل ومرتبط بحاجات الإنسان الروحية السامية، تقع ثقافة التسلية بالضرورة في تناقض مع ثقافة الانتماء الوطني. إذا كانت العولمة تحويل كل شيء إلى سلعة، ففي هذا الإطار تم تحويل المرأة (جسدها) إلى سلعة مربحة وجذابة في السوق وفي ظلها تزدهر أسواق الدعارة والمخدرات وتنتشر روائح الفساد في كل الأرجاء، ومن المؤسف أن يتم التعامل مع المرأة بطريقة مهينة وكديكور إعلامي وتجاري للإثارة وشحن الشهوات، مع إهمال واضح للمرأة كعقل وإبداع وكذات إنسانية معتبرة. إنه يتم تهميش دور المرأة في المجتمع كأم وأخت ومربية وعاملة ومبدعة وكجسد مشحون بالإنسانية والعواطف الجياشة.

ففي عصر العولمة المرأة: زبون أي مستهلك للتي تنتجها الشركات العابرات القوميات ومن بينها شركات إنتاج مواد التجميل زوبائنها من النساء بالملايين، ولا بد من تقديم كل الإغراءات للنساء كمستهلكات فيجري رسم صورة للأنثى الغربية،

الأنثى الأبدية ذات الفتنة الخالدة التي لا تصيبها الشيخوخة أبدا ويظل سحرها الجنسي فعالاً طالما استخدمت أدوات المكياج التي تتنافس الشركات فيما بينها لإنتاجها وتسويقها.. يصبح جسد المرأة إذن سلعة من السلع ويفقد مواصفاته الإنسانية ويدخل في النمط التجاري الاستهلاكي مادام عنصر جذب لترويج البضائع، بل إن الاحتكارات الإعلامية الكبرى تخصص قنوات تلفزيونية للمتاجرة في أجساد النساء بالإعلان عن أسعار بائعات الهوى والجنس وتليفوناتهن وتقديم صورهن عاريات في أوضاع جنسية صريحة. ففي ظل العولمة انتشرت المفاسد الأخلاقية وخصوصاً سياحة المتعة وتجارة الجنس اللطيف، الأمر الذي يؤثر سلباً على المرأة أخلاقياً وأسرياً وحياتياً حيث تركز وسائل الإعلام إلى نشر الفكر الإباحي والانحلال الأخلاقي لدى المرأة والفئات والكتل الاجتماعية في المجتمع عبر الانترنت والقنوات الفضائية والهواتف السيارة، والصحف والمجلات، والكتب وأدوار النشر وشركات الإعلام والموسيقى.. ولعل أكبر خطر يداهم المرأة والمجتمعن هو محو الهوية الوطنية والقومية والإسلامية، واستبدالها بهويات غريبة مشوهة، أو هويات ممسوخة لا هي باليمنية ولا بالعربية ولا بالإسلامية، وإنما هويات مشوهة وهلامية ترقص على أنغام الهويات الأوروبية والأمريكية من ناحية شكلية وغير جوهرية.

إن تغيير الوجدان والأذواق والأحاسيس والعالم الداخلي للمرأة والرجل هي غاية العولمة الثقافية والأخلاقية والتذوقية، فتغيير الوجدان والأذواق والأحاسيس والعالم الداخلي للمرأة والرجل هي غاية العولمة الثقافية والأخلاقية والتذوقية، فتغيير الوجدان والأذواق والأحاسيس والمثل هي من أعسر المهام للعولمة وإن نجحت العولمة في ذلك تكون قد استطاعت اختراق الجدار السميك الذي كان غايتها منذ فترة زمنية مديدة. فلقد استطاعت العولمة أن تغزو المنازل والعائلات، وأثرت في حياة المرأة، وتؤثر الموسيقى والأغاني الغربية في البعض من النساء، لخلق ذوق وأحاسيس مغايرة لما هو موجود في الواقع أو محاولة الاستماع للموسيقى العربية المقلدة للموسيقى والأغاني الغربية، حيث تتميز هذه الأغنيات:

1- ركة اللغة العربية، وضعف في الخيال الشعري والصورة الشعرية.

2- اغتراب الأغنية، وألفاظها عادية وخالية من الذوق والجمال الفني.
3- الخلط غير المبدع وبشكل مصطنع ما بين الموسيقى الغربية والعربية مما يشوه الذوق والأحاسيس.
4- انعدام الإحساس والشعور الفني.
5- الفقر الواضح للذوق والثقافة الفنية.

وما نلاحظه في العولمة محاولة تكريس الذوق الغربي الأمريكي عبر وسائل شتى مثل:

- عرض الأزياء الأوروبية الغربية فقط.
- استخدام المرأة لتسويق البضائع والمواد الاستهلاكية والكمالية.
- استخدام الألفاظ الغربية بشكل مصطنع من قبل بعض الممثلين والمبدعين.
- عرض أفخر المأكولات والوجبات الغربية، وتخصيص برامج مع جوائز بهذا الشأن.
- عرض أفلام الخلاعة والجنس والعنف والمخدرات والعصابات والجرائم.
- تقديم الموسيقى والأغاني الغربية الماجنة.
- تعظيم المفكرين والعلماء الغربيين.
- تقزيم الثقافات المحلية والفرعية للمجتمعات غير الأوروبية.
- ممارسة العنف الثقافي المستتر، لتغيير الأذواق والأحاسيس والإدراك.

ولست بحاجة للقول، أن العولمة نشرت وعياً زائفاً لدى بعض النساء عن الحياة والحب والحقيقة والجمال والكمال والمتعة غير النزيهة حيث صورت العولمة الإعلامية المرأة ككائن للراحة والمتعة وتربية الذراري وإنجاب الأطفال، وخلعت عن المرأة العقل والذكاء والمثابرة وروح الإبداع المادي والرمزي، وأهملت المرأة المجاهدة التي تعيش من خير أناملها وتساهم مع أخيها الرجل في صياغة المجتمع الأمثل، ولقد شوهت العولمة مفهوم الحرية لدى المرأة مما جعل نزراً منهن لا يفرقن ما بين الجرأة والوقاحة وما بين الخل والماء.. فلا تعني حرية المرأة الدوس على كل قيم وعادات المجتمع أو التطاول بطريقة فاحشة على ما هو نقي وسليم ومفيد في عاداتنا وتقاليدنا، ومن سلبيات العولمة على المرأة هو فتح شهية المرأة للتسوق وبالتالي ازدادت وتيرة

الاستهلاك عند النساء وخاصة نساء المستويات العليا والمتوسطة وأربك كثيراً النساء والفتيات الفقيرات ذوي الدخل المحدود، الأمر الذي يدفع ببعضهن إلى مسالك غير راشدة.

ولا بد أن نشير أن العولمة أثرت بشكل غير سليم على وقت فراغ المرأة لصالح ثقافة المشاهدة البصرية للأفلام والأغاني الهابطة واللهث وراء المتعة والترويح على النفس بأي ثمن دون تفريق ما بين ترويح وترويح ودون حساب للزمن وعلى حساب الأسرة وتنشئة الأطفال.

ومما لا شك فيه أن للعولمة أخطاراً على المرأة يمكن إيجازها على النحو التالي:

1- شحن المرأة بروح الاستهلاك حيث تفاقمت حدة الاستهلاك والميل المريع لها.

2- شيوع ثقافة الجسد والجنس والشذوذ الجنسي والأخلاقي عبر القنوات المشفرة والقنوات الفضائية الأخرى والانترنت والهاتف النقال ووسائل الاتصال الأخرى.

3- اللهث وراء الموضة في الملبس والمأكل والمشرب والمنكوح.

4- ضعف الوازع الديني والأخلاقي وانهيار القيم والضبط القيمي والاجتماعي بوجه عام.

5- انحسار الروابط الإنسانية التقليدية وشيوع الفردية والنرجسية والذاتية الجامحة.

6- انتشار المفاسد في أواسط النساء، مع زيادة خطورة الممارسات الجنسية غير الشرعية في ظل تراجم قيم الزواج وغلاء المهور والإعلام الماجن والتسويق الجنسي الفاضح في وسائل الاتصالات وشيوع السياحة الجنسية في الفنادق والمطاعم والملاهي والنوادي الليلية الترفيهية، مع خطورة انتقال الأمراض الجنسية الفتاكة مثل الإيدز.

7- في ظل العولمة يضعف دور المرأة التربوي والعاطفي للناشئة حيث تتبدل أدوار افراد العائلة ويتم التحول التدريجي من العائلة البطريكية الممتدة إلى العائلة النووية.

8- العولمة تشكل خطراً على الأيادي النسوية غير المؤهلة مما يؤدي إلى التخلص منهن لتزداد أعداد العاطلات عن العمل وأنه يتم استغلالهن بطريقة غير إنسانية من ناحية الرخص والحصول على أجور غير مجزية وحقيرة وهذا يتواكب مع عملية الخصخصة ورفع الدولة يدها جزئياً عن مساندة الخدمات الاجتماعية.

9- خلق ذوق جمالي وفني وأخلاقي مطابقاً أو مماثلاً للأذواق والعادات والتقاليد الغربية وخاصة بشقها السلبي.

10- دخول المرأة عالم العصابات والإجرام والمخدرات.

11- انتشار وشيوع الزواج المثلي والشذوذ الجنسي في البلدان المتقدمة يؤثر سلباً على المجتمعات العربية والإسلامية.

12- تلكؤ بعض النساء عن الطباخة في المنزل والعزوف عن تحضير المأكولات، والميل للمأكولات المعلبة فضلاً عن الافتتان بوجبات المطاعم والفنادق الفخمة التي تقدم الهمبرجر، والبيتزا، والبروست.

13- زيادة الارتكان على المربيات ومؤسسات التنشئة الاجتماعية، وتراجع دور المرأة التربوي والعاطفي.

14- الميل لاستخدام الألفاظ الأجنبية، وتقليد حياة المجتمعات الأخرى في الذوق والموسيقى دون تفريق ما بين السلبيات والإيجابيات.

15- اتساع رقعة الجراحة التجميلية، والتي لا تكون أساساً لأسباب خلقية، والتقليد الأعمى لنظام الرجيم والتخسيس مع عدم الاتقان في استخدام هذا النظام والذي يحتاج إلى إرادة وإمكانيات وثقافة غذائية وجمالية وتذوقية.

16- العولمة خلقت وعياً سطحياً في التعامل مع الموضة في الملبوسات وتصاميم الأزياء وبتقليعات قصات الشعر النسائية والصبغ المستمر للشعر والاستعمال غير المتقن لمساحيق التجميل والعطور ودبابيس الشعر.

17- انخراط مجاميع من الفتيات في سوق الدعارة وربما التورط في شرب الخمور وتعاطي المخدرات.

18- طوق المرأة للبحث عن المتعة، وعجز في استغلال وقت الفراغ استغلالاً مناسباً.

19- في عصر العولمة تفاقمت حدة التوترات العصبية والنفسية لدى المرأة، وازداد الاغتراب النفسي والثقافي والوجداني والروحي وزيادة حدة التناقض ما بين المرأة وواقعها الاجتماعي وارتفاع معدلات الطلاق والعنوسة لدى المرأة المتعلمة.

ثالثاً-العولمة ومسألة التغيير في حياة المرأة:

إننا لا ندين العولمة وإنما ندين بعض مسالكها المريضة، التي تجعل الإنسان يفتقد للأمن الغذائي والعاطفي والصحي والتعليمي والثقافي، ندين الجشع والأنانية وانحسار المثل وانعدام الأمن والخوف من المستقبل. ولقد أصدر عالم الاجتماع دافيد كوبر كتاباً بعنوان (موت الأسرة) يتوصل فيه إلى أن الأسرة بطابعها الكلاسيكي قد ماتت ولعل أبلغ تعبير لموتها

في المجتمعات المتقدمة هو افتقادها للعاطفة والروح الإنسانية، فأصبح الإنسان في هذه المجتمعات الحضارية يفتقد للأمن العاطفي الأسري الذي يحيط بالإنسان منذ ولادته وحتى مماته.

إننا نعيش عصر العولمة بأفراحه وأتراحه بصخبه وهدوئه بحلاوته ومره وسيكون من الجنون رفض العولمة جملة وتفصيلاً ولان هذا الرفض يذكرنا بحركة الليديين في انجلترا في القرن السابع عشر الميلادي، عندما قام هؤلاء بتحطيم الآلات والمصانع والمباني الحديثة للتخلص من الحداثة والتطور البرجوازي الذي جلب لهم الفاقة والفقر والحياة الأليمة والتشرد والبطالة وقتل معاني الخير والصفاء في الحياة وتحول الناس إلى جماعات اجتماعية شريرة، لا تفكر بالماديات والمصالح الخاصة الضيقة، أدت إلى التفكك الاجتماعي وتراجع القيم الإنسانية في المجتمع فللخروج من هذا المأزق وللهروب من فجر البرجوازية ، قاموا بتحطيم المصانع والآلات للعودة إلى الحياة ما قبل الصناعية، فلكل تقدم عناصر للصلاح والطلاح، المهم وما في الأمر يجب أن نعيش هذا العصر بقلوب وعقول منفتحة ولا نتبع سياسة وضع الرأس في الرمال، ولا بد أن نشارك ونستفيد ونتفاعل مع هذا العصر قدر الإمكان بأقل الخسائر وأكثر الفوائد حتى لا نعيش على قارعة الحضارة، ونصبح على مرمى حجر من شفير الهاوية.

ولا شك أن للعولمة أضرار على المرأة إلا أنه في الضفة الأخرى لا ننسى الفوائد الجليلة التي تجلبها العولمة للمرأة، وهذا يعتمد على كيفية التعامل مع العولمة، علماً أنه كلما كانت نسبة الأمية أكبر في المجتمع، كلما زاد نفوذ العولمة (الهيمنة) الثقافية والقيمية الأوروبية على بلداننا، حيث تضعف لدى الأميين والأميات من النساء الثقافة المناسبة التي تشكل درعاً دفاعياً للمرأة لدرء القيم والعادات غير الحميدة، فالثقافة والوعي المتزنين يشكلان المهاجع الدفاعية ضد الثقافة السطحية ثقافة الجسد والإعلان الفاضح والتسطيح المزيف فللعولمة إيجابيات جمة تصب لفائدة المرأة نختزلها على النحو التالي:

1- العولمة تتيح الفرصة للمرأة في استخدام الانترنت والكمبيوتر والفاكس والهوائيات.. وتدفعها إلى مزيد من التأهيل العلمي والتكنولوجي.
2- تعزز العولمة لدى المرأة ثقافة المدافعة عن الحقوق، وانتشار مفاهيم حقوق الإنسان وحقوق المرأة.

3- شيوع مفاهيم الديمقراطية ومشاركة المرأة في الفضاء العام وتحملها المسؤوليات المتنوعة.
4- تراجع النظرة الدونية للمرأة والاعتراف بقدرتها وإمكانياتها ككائن اجتماعي فاعل ومبدع.
5- انتشار مفاهيم التسامح مع المرأة.
6- عصر العولمة سيسمح بدخول المرأة السوق وتأهيلها العلمي والتقني.
7- ستعزز أهمية تقدير الوقت بالنسبة للمرأة.
8- ستنمو ثقافة الاعتناء بالمأكل والمشرب والملبس والسكن والنظافة والتأنق.
9- سيرتفع مستوى الاعتناء بالمظهر والصحة والجمال والأناقة.
10- ستعتني المرأة بلغة التخاطب مع الرجل والزوج.
11- التخلص التدريجي من الجلافة في المعاملة لمزيد من المدنية ونعومة المخاطبة والمعاملة.
12- الاعتناء بالطبخات والتفنن في الطهي وتحضير الأطعمة والأشربة.
13- شيوع مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة.
14- مشاركة الرجل بشكل أكبر في الأعمال المنزلية.
15- مشاركة الرجل في تربية الأطفال ولو بشكل جزئي.
16- بسبب تدفق المعلومات وانتشار الثقافات سيؤدي ذلك إلى مزيد من التقارب في عادات وتقاليد النسوة في الجمهورية اليمنية وعلى الصعيد العربي والعالمي.
17- العولمة المتواكبة بالعقلانية تؤدي إلى مزيد من التدبير المنزلي والاقتصاد الأسري المتين.
18- ستزداد أعداد القوة العاملة للنساء المؤهلات.
19- العولمة ستؤدي إلى المنافسة ما بين النساء لتقديم الخدمات ولمزيد من الاعتزاز بالنفس.
20- سيرتفع المستوى التعليمي للمرأة وللأسرة اليمنية وذلك بالاستفادة من التقنيات الحديثة.
21- ستزداد نسبة المتعلمات والمديرات للمؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية.

22- سيتم التخلص التدريجي من بعض الأعباء المنزلية والاتجاه صوب سوق العمل وخاصة المرأة المؤهلة.

23- ستزداد نسبة العاملات في المواقع الخدمية في المطاعم والفنادق ومحلات البيع التجارية ومعارض الملابس والمجمعات التجارية الاستهلاكية ومقاهي الانترنت وكابينات الاتصالات ومروجات البضائع، علاوة على زيادة العاملات في حقلي التربية والتعليم والصحة والمشافي والمؤسسات المالية والشركات.

24- ستقل نظرة الازدراء للمرأة ومرد ذلك يعود لارتفاع الوعي الثقافي وتلاقح الحضارات والثقافات والنماذج القادمة إلينا عن دور المرأة ومكانتها في المجتمعات المتحضرة.

25- ستصبح حرية التنقل للمرأة أكثر تيسراً في الداخل والخارج للعلم والاشتغال أو للتنزه.

26- ستزداد نسبة دخول المرأة للمؤسسات التي حرمت منها ردحاً من الزمن، في الجيش، الشرطة، النسائية، الأمن، أجهزة النيابة، المحاماة، القضاء والمناصب السياسية والعلمية والثقافية والتربوية والاجتماعية من الطراز الأول.

27- سيشهد المجتمع تراجعا ملحوظاً لمسألة ختان الإناث، ومردة إلى ارتفاع الوعي الثقافي والصحي وحملات التوعية للمنظمات والمؤسسات المدنية والحكومية.

28- ستغير نمط اختيار الزوجة لصالح التفاهم مع المرأة بعيداً عن الإرغام والقسر.

29- اهتمام المرأة بالمظهر والصحة والرشاقة وتأدية التمارين الرياضية.

30- سيشهد المجتمع رقياً في التربية الجمالية والفنية والتذوقية.



الفصل الثامن

وسائل الإعلام وقضايا المرأة

ونحن نعيش عصراً جديداً من الحضارة الإنسانية عصر التقدم العلمي والحضاري، حيث يشهد المجتمع الإنساني تطورات مذهلة من اكتشاف الخارطة الجينية إلى تكنولوجية الاتصال وثورة الإعلام والدفق الإخباري أصبحت من أبرز ملامح العصر الراهن سيطرة وسائل الاتصال المجتمعية والمتمثلة بوسائل الإعلام الجماهيري.

فالتكنولوجيا المعاصرة قد اختزلت الانعزال العقلي المعرفي للناس إلى الحد الأدنى، وأدت الوسائل الحديثة للاتصال والمواصلات إلى الإسراع بنشر المعلومات إلى الحد الذي نستطيع معه في المستقبل غير البعيد أن نتوقع أنه لن يوجد فرد أو جماعة سوف يكون في مقدارها الهرب من تلك التأثيرات التي سوف تتلاحق عليها من كل صوب اتصالي.

إن وسائل الإعلام متعددة ومتنوعة ولكل وسيلة إعلامية خصائص ومميزات تنفرد بها عن الأخرى، وتحدث هذه الوسائل تأثير على الفرد يؤدي إلى تغيرات تحصل على المجالات السلوكية والانفعالية والمعرفية والمجالات النفسية العميقة وعند الحديث عن الإعلام والمرأة لابد لنا من معرفة المسار التاريخي للمرأة اليمنية- على سبيل المثال- وارتباط ذلك بالثقافات العربية والإسلامية والغربية.

فلقد لعبت الظروف السياسية والاجتماعية قبل الثورة إلى إبعاد المرأة عن المساهمة في التنمية بل وبقائها تحت سيطرة الأمية والتخلف ومسلوبة الإرادة، "إن العزلة الطويلة التي عاشها المجتمع اليمني في عهد ما قبل الثورة 1962م وفي عهدي الإمامة والاستعمار والتخلف والحرمان قد انعكست على الأسرة مباشرة سلبياً وعاشت في وضع هامشي من المجتمع والنظام السائد ومن كل مظهر حضاري متجدد ولهذا كانت الأسرة وإلى عهد قريب محصور في العلاقات الاجتماعية والعشائرية وعلاقات الجوار".

ورغم كل ظروف الأمية التي وصلت نسبتها أكثر من 90٪ قبل الثورة والتخلف والاستعمار فقد كان للمرأة اليمنية دور مبكر في مجال الإعلام وخاصة في نهاية الخمسينات من خلال مجلة "فتاة شمسان" التي أصدرتها "ماهية نجيب" في عدن عام 1960م.

وأخذت المرأة تبحث عن دورها من أجل إنجاز حقوقها، وكانت الصحافة هي الوسيلة المثلى لتخوض دورها على اعتبار أن الصحافة في مرحلة الأربعينات وحتى الستينات كانت هي الوسيلة الوحيدة المتاحة لها والتي وعبر صفحاتها عملن المستنيرات من النساء بكل قوة وشجاعة لكي يقنعن الرجل أولاً لكونه صاحب القرار وهو الذي يقرأ الصحف "أما النساء باستثناء المستنيرات فالأمية منتشرة في

صفوفهن لاتسمح لهن بالقراءة"، رغم التقدم الكبير في تناول الإعلام العربي واليمني لقضايا المرأة لم تبرز بعد أهمية وظيفتها داخل الأسرة ودورها الأساس في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وتشير الدراسات العربية واليمنية أن تناول قضايا المرأة في وسائل الإعلام ما يزال يعاني من مشكلات لايرتقي إلى مستوى التحولات التي شهدتها الساحة من إنجازات ملموسة خلال الفترة الماضية وتحديداً العشرين السنة الأخيرة من القرن العشرين في مجالات التعليم والعمل والمشاركة الاجتماعية والثقافية والإبداعية والنضال الوطني وهذا مرتبط في سياق الموروث الثقافي الذي لا يزال يؤثر بصورة سلبية في تحديد أدوار ومواقع المرأة ومواقف كل من المجتمع ووسائل الإعلام منها في نفس الوقت هناك تكريس التوجهات التقليدية تجاه المرأة من خلال تركيز وسائل الإعلام على إبراز دور المرأة التقليدي (كزوجة وأم وربة بيت وابنة مطيعة) والاهتمام بالشؤون المنزلية وتربية الأبناء تحت مسميات الحفاظ على العادات والتقاليد.

ونظراً لأن تاريخنا تاريخ ذكوري فإن هذه الامتيازات التاريخية للرجل لازالت هي المسيطرة على تفكيره وتنعكس على صعيد الواقع والعلاقات السائدة في المجتمع بسلوكيات تضع عدد من المشكلات والتعقيدات أمام تقدم المرأة وتحررها من الموروثات القديمة.

وتقول د. عواطف عبد الرحمن: "إن الحركة النسائية المعاصرة ترى أن الإعلام بشكل عام يعد مسؤولاً عن استمرار الصورة النمطية التقليدية لأدوار النوع مما ساعد على استمرار الصورة النمطية في الذهن الجمعي".

وسائل الإعلام وقضايا المرأة:

من خلال المتابعات والملاحظة العامة لما تقدمه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة من أخبار وبرامج وأنشطة إعلامية يتضح جانب القصور وإغفال دورها وحقوقها في المجالات التالية:

الصحافة:

الصحافة والكلمة المطبوعة كانت ولازالت من الوسائل الإعلامية الرئيسية والمهمة في نشر الأفكار والآراء والمعلومات والتأثير على جمهور القرار تؤثر بشكل كبير وبخاصة بين أوساط النخب والقيادات، وفي نظرة عامة للصحف اليومية الرسمية سنجد أنها بالنسبة

للقضايا المتعلقة بالمرأة والأسرة يتم تناولها في إطار محدود ومساحات محدودة تتجه في الغالب نحو موضوعات عامة عن صحة الأسرة والمجتمع والاهتمامات التقليدية للمرأة وقضايا تربية الأبناء والرعاية الصحية وموضوعات متنوعة في مجالات العلاقات الزوجية وأخبار القيادات النسائية والنشاطات الرسمية للمنظمات والجمعيات النسائية إلى جانب النشاطات الموسمية التي ترافق الاتجاهات الرسمية عند القيام بالفعاليات ذات العلاقة بالنشاطات المتعلقة بالحقوق والتشريعات والمشاركة السياسية (لها علاقة بالمناسبات والاحتفالات المحلية والدولية).

وعند الوقوف الجاد أمام ما تنشره الصحف اليومية يلاحظ غياب تناول قضايا مهمة وحساسة ذات أبعاد قانونية وثقافية وتنموية وسياسية ونستعرض أهم القضايا التي تتجاهلها الصحف اليومية:

1- عمل المرأة خارج المنزل.
2- إبراز مشاكل المرأة الريفية.
3- محو الأمية وتعليم المرأة.
4- نشر الوعي السياسي لدى المرأة وحثها على المشاركة في الحياة السياسية.
5- تخطيط ميزانية الأسرة وتنظيم الأسرة.
6- الزواج المبكر.
7- المساواة بين الجنسين.
8- تجاهل الموضوعات التي تعكس تطور المرأة والإنجازات التي حققتها خلال المراحل الماضية.
9- اهتمام أهمية إسهام المرأة في التنمية.
10- رصد واقع المرأة في الريف والحضر بإيجابياته وسلبياته.
11- المرأة ومسؤولياتها الاجتماعية.
12- تصحيح صورة المرأة في الإعلام.

ونستخلص من مراجعتنا للدراسات العربية والمحلية والتقييمات حول المرأة إلى الآتي:

- الصحف اليومية تكتفي بمعالجة الموضوعات الخاصة بالمرأة معالجة سطحية باعتمادها على التقريرية والتسجيلية والاهتمام بالمواد الإخبارية المتعلقة بقضايا المرأة والأسرة.

- المعالجة التفسيرية للجوانب التقليدية باستخدام الحديث الصحفي.
- الميل نحو عرض المشكلة.
- الاهتمام بالبلاغة الأدبية عند تناول القضايا العاطفية في الغالب وإغفال بداية المشكلة.
- شحة مواد الرأي والأعمدة الصحفية وعدم الاهتمام بشكل عام بطرح الرأي ووجهات النظر حول حقوق المرأة وعدم إتاحة المجال للقارئات للتعبير عن آرائهن وقضاياهن.
- مواد الرأي والأحاديث الصحفية والتحقيقات والتقارير تتجه للبرهنة والإقناع بوسائل مختلفة لتبني وجهة نظر المحرر.
- عدم الاهتمام الكافي بالمرأة من القيادات الصحفية ويتضح ذلك من المساحة المخصصة للمرأة في هذه الصحف.
- إغفال احتياجات المرأة العاملة والمرأة الريفية.
- مخاطبة المرأة من فئة عمرية هي سن النضوج والشباب وعدم الاهتمام في الغالب بسن المراهقة.
- الاتجاه المسيطر على معالجات الصحف للمرأة يميل للنظر إليها كأنثى وليس كإنسان ترتبط بمشكلات مجتمعها وتسهم في تنميته.

التلفزيون:

- يعد التلفزيون الوسيلة الإعلامية الأكثر فعالية وله قوة تأثير على المتلقي وهي وسيلة اتصالية أكثر جذباً للجمهور وتؤثر في تشكيل الرأي العام وأصبحت الشاشة الصغيرة اليوم تدخل ضمن البرامج اليومية للأسرة ويتم تكييف وقت الفراغ بالنسبة لكثير من الناس حسب البرامج المفضلة، والرسالة الإعلامية التلفزيونية لا يقتصر تأثيرها على مشاعر المشاهدين ومخاطبة عواطفهم وإيجاد حالة من المشاركة الوجدانية لدى المستقبل وإنما امتد إلى الحديث داخل الأسرة وخارج البيت، وعليه فإنه من الأهمية بمكان أن يناط بالتلفزيون دور كبير للتوعية بقضايا المرأة من خلال سياسة إعلامية جديدة تسعى إلى تفسير الصور والأنماط التقليدية للمرأة التي تعكسها المسلسلات

التلفزيونية بإبراز المرأة كزوجة وأم وربة بيت وإهمال الجوانب الهامة المتعلقة بالمرأة العاملة والمرأة الريفية.

- استخدام المرأة في الإعلان والسلع وخدمات مختلفة لإبراز مفاتنها.
- الابتعاد عن الخوض في القضايا والموضوعات التي تعكس تطوير المرأة في الأنشطة الحقوقية والسياسية.
- الاهتمام المبالغ ببعض المهن النسائية وترك الأخرى كالاهتمام بالفنانات والمبدعات والسياسيات دون الاهتمام بالقطاعات الأخرى.

فمن المهم تغيير الصورة السلبية التي رسمتها البرامج والمسلسلات التلفزيونية في الذهن الجمعي بالتركيز على دورها الإيجابي في الحياة والنهوض بوضعها وتعزيز مكانتها على مستوى الأسرة والمجتمع وتوضيح الدور الإنتاجي للمرأة وقدرتها على الإسهام في عملية التنمية والعمل على إدارة حوار حول قضايا المرأة ودمجها ضمن الثقافة الدرامية الأخرى.

- تشجيع إنتاج المسلسلات والبرامج التي تبرز الدور النضالي الوطني والاجتماعي للمرأة وتوثيقها للأجيال القادمة.

الإعلام وإبراز دور المرأة:

يجمع الباحثون في مجال الاتصال والإعلام على الدور الخطير الذي يلعبه الإعلام في التأثير على المتلقي "علاوة على ما تتميز به وسائل الإعلام من طبيعة مزدوجة تساعد على نشر وترويج الأفكار والقيم المتناقضة في آن واحد فهي قد تساعد على تغيير القيم والعادات والمفاهيم التقليدية فتسهم في ذلك بخلق أشكال جديدة من الوعي أو تعمل على تثبيت القيم والرؤى التقليدية فتسهم عندئذ في تزييف وعي الأفراد وذواتهم وأدوارهم الحقيقية"، ومما لاشك فيه أن الإعلام له دور مهم في تشكيل الوعي الثقافي والقيمي في المجتمع ويعود ذلك للإمكانيات المتاحة أمام وسائل الإعلام لتوصيل الرسالة الإعلامية للرأي العام من مختلف الفئات الاجتماعية.

ويكمن أهمية الإعلام في إبراز قضية المرأة والدفع بها إلى الأمام بأن يلعب الإعلام دوراً بارزاً في إبراز دور المرأة والمفاهيم المتعلقة بحقوقها في التعليم

والمشاركة الاجتماعية والسياسية وشغل المناصب العامة واختيار الزوج ورعاية الأمومة وغيرها من خلال الوسائل الإعلامية المتعددة باعتبارها وسائط ثقافية تربوية ترفيهية لها تأثير كبير في اتجاهات الرأي العام، وذلك إذا ما وضعت لها سياسات واضحة تتبنى قضايا المرأة تستند إلى بلورة وعي عام لدى المجتمع من خلال الآتي:

1- على وسائل الإعلام التأكيد على وظيفة المرأة الأساسية في حماية الأسرة ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإفساح المجال لها للمشاركة في الحياة الاجتماعية والتعريف بقضاياها وأنشطتها.
2- معالجة القصور في مجال مساهمة الإعلام العربي ومساندته للبرامج الخاصة بتنظيم الأسرة باعتبارها أحد الخلايا الأساسية في المجتمع وللأنشطة السكانية الأخرى التي تعالج قضايا هامة كالحد من النزوح والهجرة داخل الوطن وخارجه.
3- الاهتمام بالمشاكل المتعلقة بالنمو السكاني وانعكاساته على التنمية وبرامج الأسرة والمشكلات الناشئة عن الهجرة بما تستحقه من اهتمام في كافة وسائل الإعلام والاتصال المتاحة.
4- تعديل الاتجاهات نحو التبني الإيجابي لمجموعة من القيم التي تدعم المفاهيم المرتبطة بقضايا المرأة وحقوقها الأساسية مثل المساواة في حق العمل والتعليم والمشاركة السياسية... الخ.
5- تناول المشكلات والظواهر السلبية ذات العلاقة بالمرأة وتحليل أسبابها وتقديم البدائل الإيجابية وتبني مفاهيم جديدة.
6- أن يلعب الإعلام دوراً في قضية المرأة وترسيخ القيم الإيجابية وترى د. سلوى شعراوي: "يستطيع الإعلام أن يلعب دوراً مؤثراً في خلق مناخ عام مؤيد ومتفهم لقضايا المرأة وأهمية إدماجها في صنع القرار فعلى سبيل المثال استطاعت تغطية الإعلام الإنكليزي الأخيرة وصول مولود جديد لرئيس الوزراء البريطاني "توني بلير" إلى الإعلان عن عزمه للتخفيف من أعبائه العملية ليكون بجوار زوجته ذلك بالطبع ليس فقط من أجل الحرص على التماسك

العائلي ولكن أيضاً ضماناً لكسب أصوات النساء لإعادة انتخابه من جديد في الانتخابات القادمة".

دور الإعلام في دمج المرأة في قطاع العمل:

أهمية الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية والاتجاه العملي:

لم يعد الإعلام المعاصر مجرد أداة لتوصيل المعرفة وتزويد الناس بالخير والحدث، أو حتى مجرد وسيلة للترويح والترفيه والتسلية، بل تعدى ذلك بعد تطور وسائله وتعددها ليصبح محتوياً ما سبق كله بالإضافة إلى تحوله إلى أداة فاعلة في صناعة الرأي العام الذي لم يعد مستقبلاً للمعلومة أو الخبر فقط، بل أصبح يتفاعل ويتأثر عقلياً وفكرياً وسلوكياً.

إن الإعلام بوسائله الحديثة وبرامجه المتنوعة إنما يصدر عن تصورات وأفكار ومبادئ تعمل على إحداث تغير مقصود في المجتمع المستهدف ليس في دائرة محددة أو مجتمع بعينه، بل يحدث ذلك على المستوى العالمي مغطياً البشرية في كل أرض وتحت أي سماء، مما جعل العالم كله قرية واحدة تعيش الحدث وتتلقى الخبر في وقت واحد وزمن مشترك عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري المباشرة، فلم يعد هناك اختلاف حول الدور المتعاظم الذي تقوم به وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر نحو شعوب العالم، فقد أصبح الإعلام قادراً على البناء قدرته على الهدم.. قادراً على ترسيخ القيم أو زعزعتها، وذلك وفق مصدر الرسالة والمضمون الذي يحمله سلباً أو إيجاباً.

تمتلك وسائل الإعلام من خلال ما تبثه القدرة على تشكيل تصورات الناس حول الحياة والعالم من حولهم وتمتلك أيضاً القدرة على تغيير نظرتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، من خلال تغيير مواقفهم تجاه الأشخاص والقضايا، فيتغير بالتالي، حكمهم عليها، وموقفهم منها.

تغيير المواقف والاتجاهات، لا يقتصر على الموقف من الأفراد والقضايا، بل يشمل القيم وبعض أنماط السلوك، فكثيراً ما قبل الناس، وتعاملوا بلا مبالاة، مع سلوك كانوا يأنفونه ويشمئزون منه، وكثيراً أيضاً ما تخلى الناس عن قيم كانت راسخة، واستبدلوا بها قيماً دخيلة، كانت موضع استهجان فيما سبق.

المرأة والعمل:

ولعل قضية مشاركة المرأة ومساهمتها في مختلف نشاطات المجتمع لم تعد مجالاً للمناظرة، بل إن الواقع وسير الأحداث يفرضها حقيقة موضوعية، فالمرأة الريفية والبدوية في بلاد المنطقة تقوم ببعض الأعمال الزراعية وبعض الحرف المنزلية والصناعات اليدوية، كما أن المرأة قد دخلت سوق العمل في عدد من القطاعات الاقتصادية الحديثة في العواصم والمدن، وشكل العمل- أياً كان مجاله- قيمة حقيقة لوجود الانسان، وأصبح ضرورة إنسانية يحقق من خلاله انجازات حتى ولو كانت بسيطة، ولما كان بناء المجتمع يتشارك فيه الرجال والنساء فكان من الضروري الإيضاح أن تقصير جنس دون الآخر في العمل ينتج خللاً في بنية المجتمع ويؤدي إلى إعاقة عملية التنمية.

ومن هنا كانت ضرورة انخراط النساء في العمل كلما سار ركب التنمية وتوسعت ميادين العمل في المجتمع، وازدادت الحاجة إلى زيادة أعداد العاملين وصار من الضروري زيادة كفاءتهم وقدراتهم وتنظيمهم وسن القوانين الناظمة للعلاقات فيما بينهم دون تمييز بين كونهم رجال أو نساء، ولم يعد هناك مجال لأن يبقى فرد من أفراد المجتمع عالة على غيره دون أن يقوم بدوره.

من هذه الرؤية تكون ضرورة عمل النساء هي ضرورة مشاركة لا تنافس، ويبقى الأهم بالنسبة لعمل المرأة اختيار نوعه، وطبيعته، وتنمية مهاراتها وتوضيح أهدافها، وضمن هذا السياق لا يبقى الهدف من عمل المرأة الخروج من المنزل فقط وإنما يتسع المفهوم ليشمل كل عمل مفيد تقوم به المرأة حتى لو كان عملاً منزلياً في تربية الأولاد أو تعليمهم أو القيام بشؤون البيت وإدارته.

دور الإعلام في خلق وعي حقيقي بقضايا المرأة:

يشير المشهد الراهن إلى وجود أربع تيارات فكرية تتحكم في السياسات الإعلامية العربية تجاه المرأة وقضاياها وهي: التيار التقليدي الذي يستمد مشروعيته من بعض الموروثات الثقافية السلبية تجاه المرأة، والتيار الاجتماعي التحرري الذي يرجع إلى دعوات الرواد منهم قاسم أمين وعبد الرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي ورفاعة الطهطاوي الذين طالبوا بتحرير المرأة ضمن حركة الإحياء

القومي، والتيار النسوي الوافد من الغرب الذي يحصر نضال المرأة في أطر معزولة عن حركة المجتمع ويضع أولويات لا تمثل بالضرورة قضايا مهمة للمرأة العربية، ثم التيار العولمي الذي يستفيد من المرأة كعنصر استهلاكي ومادة إعلانية جذابة وكقوة عمل رخيصة.

لقد انعكست هذه التيارات على مواقف الإعلام العربي من المرأة ولا تزال الغلبة للتيار التقليدي ويستثمر مقولاته ويكرسه التيار العولمي أما التيار الاجتماعي التحرري الذي يعبر عن نفسه في التيارات المعاصرة التي تنادي بضرورة تمكين المرأة من الحصول على حقوقها من خلال إدماجها في كافة الأنشطة السياسية والاقتصادية والثقافية ولا يزال هذا التيار يجاهد كي ينتزع لنفسه موقعاً لائقاً في الإعلام المقروء والمرئي والمسموع.

وتعود بعض الأسباب إلى تخلف الخطاب الإعلامي الذي تطالب المرأة والمجتمع بأن لا يكون ظالماً بحق المرأة لكثير من الأسباب قد يكون أهمها تركيز الإعلام على مجموعة من القيم التراثية التي تؤكد على مشروعية التمايز الاجتماعي والثقافي بين الجنسين باعتباره من الأمور الطبيعية التي لا تقبل الجدل، وهنالك الكثير من الشواهد التي تشير إلى ذلك والتي تتمثل في ترسيخ الصورة السلبية عن المرأة ككائن جنسي يتسم بالأنانية والتردد والسلبية بالإضافة إلى استخدامها كأداة وكرمز للجنس في الإعلانات حتى إن لم يكن لها علاقة بالسلع المعلن عنها، وكذلك تنحاز وسائل الإعلام في معظمها للصور والأدوار التقليدية للمرأة ويحاول حصرها في ثلاث صور متكررة وهي الأم المعطاءة والزوجة الخاضعة والابنة المطيعة كما لا يكف الإعلام عن تحريضها على تقليد النماذج النسائية الأمريكية والأوروبية.

ينحاز الإعلام للأسر الغنية والشرائح العليا من الطبقة الوسطى من سكان المدن ولا يعطي نساء الريف والبوادي ما تستحقه قضاياهن من اهتمام، وكذلك تركز وسائل الإعلام على مراحل معينة من حياة المرأة مرحلة الشباب من سن (20- 40) وهو ما يعرف بسن الخصوبة، ولا يطرح الإعلام رؤية متوازنة لأدوار ووظائف ومسؤوليات وحقوق المرأة والطفل والرجل داخل الأسرة العربية بل يتجاهل الإشارة إلى واجبات ومسؤوليات الرجل ويركز على الواجبات والمسؤوليات التقليدية للمرأة.

والسؤال المطروح ما العمل ؟ وكيف نغير صورة المرأة في الإعلام وخلق وعي حقيقي بقضاياها ومشاكلها ؟ وكيف نتوصل إلى إرساء سياسيات إعلامية منصفة متوازنة تجاه قضايا المرأة وإشكالياتها، سياسات إعلامية تأخذ في الاعتبار المسؤوليات العديدة التي تتولاها المرأة في مجالات الإنتاج والتعليم والإبداع الفني والثقافي والعلمي وتبرز العوائق الفعلية التي تحول دون إطلاق طاقات المرأة مثل تلك الموروثات الثقافية والاجتماعية والأمية والفقر والبطالة وتراعي طرح آراء المرأة في كافة القضايا المجتمعية التي يهتم بها العلام في كافة المجالات.

إن الإعلام هو البديل الذي نتطلع إليه الذي يتميز بالطابع التربوي والتعليمي ويأخذ بالمنظور النقدي ويستهدف تغيير وجهات النظر التقليدية السائدة حول قضايا المرأة ويطرح رؤية نقدية تصمد أمام الإعلام التجاري ويكشف مساوئه ودوره في تزييف وعي الجمهور بوضعية المرأة وأدوارها، ومن أجل تحقيق هذا يجب العمل على ضرورة الوعي بوضع إستراتيجية للإعلام عن المرأة تحدد الأولويات والسياسات والبرامج التنفيذية في مجال الإعلام المقروء والمرئي والمسموع تجاه قضايا المرأة، وضرورة التزام القيادات الإعلامية بمراعاة الوظيفة الاجتماعية والثقافية للإعلام وأدواره الحيوية في تشكيل الوعي الصحيح عن الواقع المجتمعي بكل ما يحويه من موروثات ثقافية وتحديات اجتماعية وطموحات إنسانية عادلة، ضرورة الاهتمام بإعداد برامج تدريبية وتثقيفية للإعلاميين والإعلاميات للنهوض بمستويات الوعي والأداء الإعلامي في مجال المرأة والأسرة.

لن يتوقف النهوض بمستوى المرأة في المجتمع فقط بإعداد إعلام واعي بقضايا المرأة فقط وإنما انطلاقاً من ترابط قضايا المرأة مع قضايا المجتمع ككل ولكن يقع على الإعلام المجهود الأكبر لإظهار هذا القضايا إلى المجتمع.

وسائل الاعلام السورية ومدى تأثيرها في المجتمع السوري:

اهتم الإعلام السوري بالمرأة بشكل عام وتناولها كفرد من أفراد المجتمع المطالبين بالقيام بأدوارهم في عملية التنمية، واهتمت الحكومة بدعم الاعلام بإنشاء مؤسساته الرسمية والتوسع بفسح المجال أمام نمو الإعلام في القطاع الخاص من تلفزيونات وإذاعات ومجلات وصحف، ولا شك أن لكل وسيلة خصائصها في التأثير

وفق الجمهور المتعامل معها، فالصحافة تتعامل مع قراء لهم ثقافة ما واهتمامات قومية وسياسية، بينما الإذاعة والتلفاز يتعاملان مع جمهور واسع يجمع بين المثقف وغير المثقف، وتخاطب كافة الطبقات الاجتماعية، من أميين ومتعلمين وكافة طبقات المجتمع على اختلاف مستوياتهم الثقافية والعمرية.

ويقبل الكثيرون على التلفاز وبرامجه بغرض الترفيه والتسلية، سواء كان التلفزيون الرسمي أو القنوات الفضائية العربية، ورغم إمكاناته الإعلامية والسياسية والتعليمية فإن برامج الترويح والتسلية تحتل الجانب الأكبر من اهتمام مشاهدي برامج التلفاز، والتي تصل إليهم حيث يوجدون دون جهد أو مشقة، وقد أصبح التلفاز اليوم جزءاً أساسياً في حياة كثير من الأسر، ويتعامل مع جميع أفرادها رجالاً ونساء وأطفالاً، حتى تحول كثير منهم من مجرد مشاهدين إلى مشاركين يعيشون أحداث البرامج والتمثيليات والعروض متأثرين بالتجارب، مما جعل للتلفاز أثره في تشكيل العديد من القيم والاتجاهات لدى المشاهدين عامة والشباب والأطفال بصفة خاصة.

التلفزيون- (القطاع الخاص والقطاع العام):

أثبتت كثير من الدراسات أن برامج الدراما من مسلسلات وأفلام تأتي في مقدمة البرامج الإعلامية المفضلة لدى الجمهور، والتلفاز يعتبر من الوسائل المؤثرة والفاعلة لما يتميز به من خصائص قد لا تتوفر لغيره من وسائل الإعلام الأخرى بما في ذلك السينما والتي هي وسيلة مرئية كذلك.

ويعرض التلفزيون الكثير من أنواع الإنتاج الإعلامي والتي يختلف تأثيرها وتخصصها حسب نوع الجمهور وطريقة جملها للرسالة:

- **الدراما**: ونقصد بها المسلسلات الطويلة والسهرات التلفزيونية ذات الإنتاج السوري العام والخاص، وهي تعرض في القنوات والمحطات العربية الأخرى، والتي تناولت المرأة برؤى متعددة وساهمت بشكل مؤثر بتشكيل الصورة الذهنية عن المرأة السورية حيث عرضت المسلسلات المرأة بكافة حالاتها، وتعرضت لنماذج من كافة الشرائح الاجتماعية.
- **البرامج التنموية**: إشرفت مديرية الإعلام التنموي على إنتاج العديد من البرامج التي سلطت الضوء على المرأة العاملة وعلى الصعوبات التي تواجهها، عرض

التلفزيون السوري ذلك عبر برامج النقابات مثل برنامج مع العمال، وبرنامج أرضنا الخضراء، وبرنامج مجلة المرأة وذلك بالتعاون مع النقابات المهنية والاتحادات العمالية والمنظمات الشعبية كالاتحاد النسائي.

- الإعلانات: بقيت الإعلانات تعتمد بشكل أساسي على تسويق المواد باستخدام المرأة كجسد جميل وكرست صورة سطحية سخيفة للمرأة كمستهلكة دائمة للعطور والماكياج والملابس والأطعمة المتعددة، كما كرست عمل المرأة في البيت فقط.

- **الأغاني** : غزت أغاني الفيديو كليب الشاشات، واكتفت النساء اللاتي يظهرن على الشاشة بالتنعم بالحرير والديباج والتلوي من آهات الحب والعشق دون أن يبدو أنهن يفكرن بأي نوع من أنواع العمل مهما كان نوعه، ولا يخفى تأثير الفيديو كليب على تفكير الشباب والمراهقين إذ أن المغنين والمغنيات أصبحن قادة رأي وقدوات يرغب أغلب المراهقين في تقليدهم والسير على خطاهم.

الإذاعة- (القطاع الخاص والقطاع العام):

- **البرامج**: اهتمت الإذاعات الرسمية بتقديم البرامج الهادفة ضمنالخطط التنموية للإعلام التنموي ولكن الثقافة الإعلامية التي سادت في الإذاعات الخاصة طغت على الرؤية التنموية للبرامج التنموية.

- البرامج التفاعلية: ونعني بها البرامج التي يتصل المستمعين بالإذاعة ويبدون آراءهم من خلالها، أو يتواصلون مع مسؤولين حكوميين أو فنانين أو كتّاب، فهناك بعض الإذاعات عرضت قضايا هامة من قضايا المرأة وتبادلت الآراء مع الجمهور.

- **الأغاني** : أغفلت موضوعات الأغاني المذاعة في الإذاعات الخاصة المرأة العاملة وهمومها وتناولت هموماً أخرى.

- **الإعلانات**: لم تتعرض أغلب الإعلانات الإذاعية إلا للمرأة بصفتها مستهلكاً نموذجياً من وجهة نظر المسوقين.

الصحافة المطبوعة (الصحف والمجلات) (الخاص والعام):

- **الأخبار**: تنقل الأخبار بشكل عام ولا تخصص أخبار المرأة العاملة بأي حيز أو تمييز وتهتم مجلات القطاع الخاص بالمرأة اهتماماً نمطياً وسطحياً فتؤطرها

ضمن الشكل فتتحدث عن الجمال والطبخ وحتى ترتيب المنزل أو الموضة أو الهموم الخاصة بالجمال والرشاقة.

- التحقيقات: تنشر التحقيقات بأنواعها سواء اقتصادية أو اجتماعية بشكل عام ولا تخصص أخبار المرأة العاملة بأي حيز أو تمييز، وفي نشرات القطاع الخاص تتميز التحقيقات بالدوافع التجارية والتسويقية فيبقى الاهتمام بالمرأة بصفتها مستهلكة أو مستفيدة من منتجات متعددة غالباً ما تكون تلامس احتياجات سطحية أو كمالية عند النساء ولا تقترب من المرأة العاملة ومشاكلها وقضاياها.

- **المقالات**: تخصص المرأة العاملة ببعض المقالات في المناسبات وضمن أنشطة تنموية مبرمجة.
- **الصور**: لا تركز الصور المنشورة في الصحف على المرأة العاملة إلا في مناسبات خاصة مثل عيد العمال.
- **الإعلانات**: "لا تختلف الإعلانات في الصحف والمجلات عن ما سبقها في الإذاعة والتلفزيون".

الإعلانات الطرقية- (على مدار السنة، وفي المناسبات):

- **الإعلانات الكبيرة العامة**: لا تختلف الإعلانات في الطرقات عن ماسبقها في الإذاعة والتلفزيون وتتميز بتأثيرها الشديد على كافة الشرائح لأنها تغرس الصورة النمطية في الأذهان دون أن ينتبه إليها.
- **الإعلانات ذات النوافذ الصغيرة.**

الانترنت:

- **المواقع الخاصة بالمرأة:**

تتنوع المواقع التي تهتم بالمرأة بين خطين أساسيين يختلفان حسب رؤيتهما للمرأة: الخط الأول يرى المرأة مستهلكاً أساسياً لأنواع كثيرة من المنتجات الثمينة أو الرخيصة ولكنها تتعامل مع المرأة كزبون مدلل لكميات هائلة من أنواع البضائع التي تنتجها المصانع وتتكدس في الأسواق وتتضمن هذه الصناعات السياحة والسفر والموضة والرشاقة والجنس والديكور والتجميل إلخ، أما الخط الثاني فيرى المرأة إنساناً يمتلك مشاعر وفكراً وإبداعات فيفتح مساحات البوح والتبادل الفكري في منتدياته، كما يناقش قضاياها ومشاكلها ويخاطب زواره في حيثيات هذه المشاكل ويحشد الطاقات لإحداث تغيير.

- **مواقع الأخبار:**

ينطبق عليها ما سبق في الصحف والمجلات.

الرسالة الإعلامية ومفاهيم عمل المرأة:

إن واحدة من مشاكل العمل الإعلامي هو أنه يعمل على اختيار النساء المتمدنات أكثر من نساء الريف للانخراط في العمل به.. وذلك ربما يرجع للصورة التي يهدف الى عكسها من نساء يرتدين أزياء غربية أنيقة ومتحضرة، بل حتى الموضوعات المطروقة في معظمها والصور المقدمة تميل في الكثير من الأحيان الى عرض صور نساء المدن والطبقات البورجوازية وتهمل القطاع الأعظم من النساء العربيات في الريف والبادية.

فعند المقارنة بين الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام للمرأة والواقع الاجتماعي الفعلي الذي تعيشه وتتفاعل معه المرأة العربية سواء في مجال الإنتاج والعمل أو في أوجه النشاط الاجتماعي بشكل عام، نجد أن أجهزة الإعلام مازالت بعيدة كل البعد عن المخاطبة الفعالة للمرأة، فضلاً عن تقديمها بصورة تواكب الدور الحقيقي الذي تقوم به المرأة داخل مجتمعاتنا العربية، فصورة المرأة تحتاج إلى مزيد من العمق في مناقشة دوافعها وتحتاج أيضاً لتسليط الضوء على الصعوبات التي تواجهها للوصول إلى ما قد تصل إليه من مكانة، فالمرأة العاملة في الدراما مثلاً إما مرهقة وتحلم بأن ترتاح من العمل المضني خارج البيت أو مرفهة مدللة جميلة مكتملة الأناقة تفتح الأبواب أمامها للنجاح، الذي يعبر عنه بجلوسها خلف مكتب ضخم.

إن هذا المناخ يعد انعكاساً للطابع الذكوري الذي يميز المجتمع العربي داخل الأسرة والسياسة والثقافة، والواضح أن وسائل الإعلام لم تستطع عند تقديمها لصورة المرأة أن تفلت من أسر هذه النزعة الذكورية.

قدمت وسائل الإعلام المرأة العاملة كإنسانة تناضل وتكافح من أجل الخروج من المنزل، وكان سبيلها إلى الخروج هو العلم، فيما ضاع الهدف الرئيسي من تجيير عمل النساء لصالح دعم الأسرة الاقتصادي ورفد عملية البناء والتنمية للوطن.

وقصرت وسائل الإعلام وأهمها الدراما التلفزيونية في تقديم تجارب النساء العاملات وما واجهنه للوصول إلى النجاح أو الفشل واكتفت بالمرور على حياتهن بسطحية[1].

---

(1) من ورقة مقدمة في "مؤتمر المرأة الاقتصادي الثالث"، دمشق- فندق الشام: 28- 29- 30 تموز 2009.

المصادر والمراجع

1. منهج التربية الإسلامية ج1، محمد قطب.
2. التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، عبد الرحمن نحلاوي.
3. وحدة تنمية الشعور الديني عند الأطفال، د. عواطف إبراهيم.
4. تربية الأولاد في الإسلام، ج1، عبد الله علوان.
5. تربية الناشئ المسلم، د. علي عبد الحليم.
6. دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة، فتحية عمر الرفاعي.
7. مجلة آفاق تربوية، العدد الثاني .
8. مجلة التربية.
9. مجلة آفاق تربوية، العدد السادس.
10. المرأة في الإسلام، محمد صالح.
11. المرأة في الشعر الجاهلي.
12. موسوعة عالم المرأة.
13. ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة.
14. ياقوت الحموي: معجم البلدان.
15. المرأة قبل الإسلام، مروان العلان.
16. شبهات حول المرأة المسلمة، منى أبو راشد.
17. الحجاب.
18. المرأة بين الفقه والقانون.
19. من أجل تحرير حقيقي للمرأة.
20. المرأة وكيد الأعداء.
21. مكانة المرأة في الإسلام.
22. توجيهات إسلامية.
23. المرأة بين الموروث والتحديث.

Inv: 2401

Date:4/2/2014



المرأة العربية
بين الماضي والحاضر



للنشر والتوزيع
الأردن - عمان
هاتف: 00962 6 5658253 / 00962 6 5658252
فاكس: 00962 6 5658254 ص.ب: 141781
البريد الإلكتروني: darosama@orange.jo
الموقع الإلكتروني: www.darosama.net



الأردن - عمان - العبدلي
تليفاكس: 0096265664085



ISBN 978-9957-22-575-9

